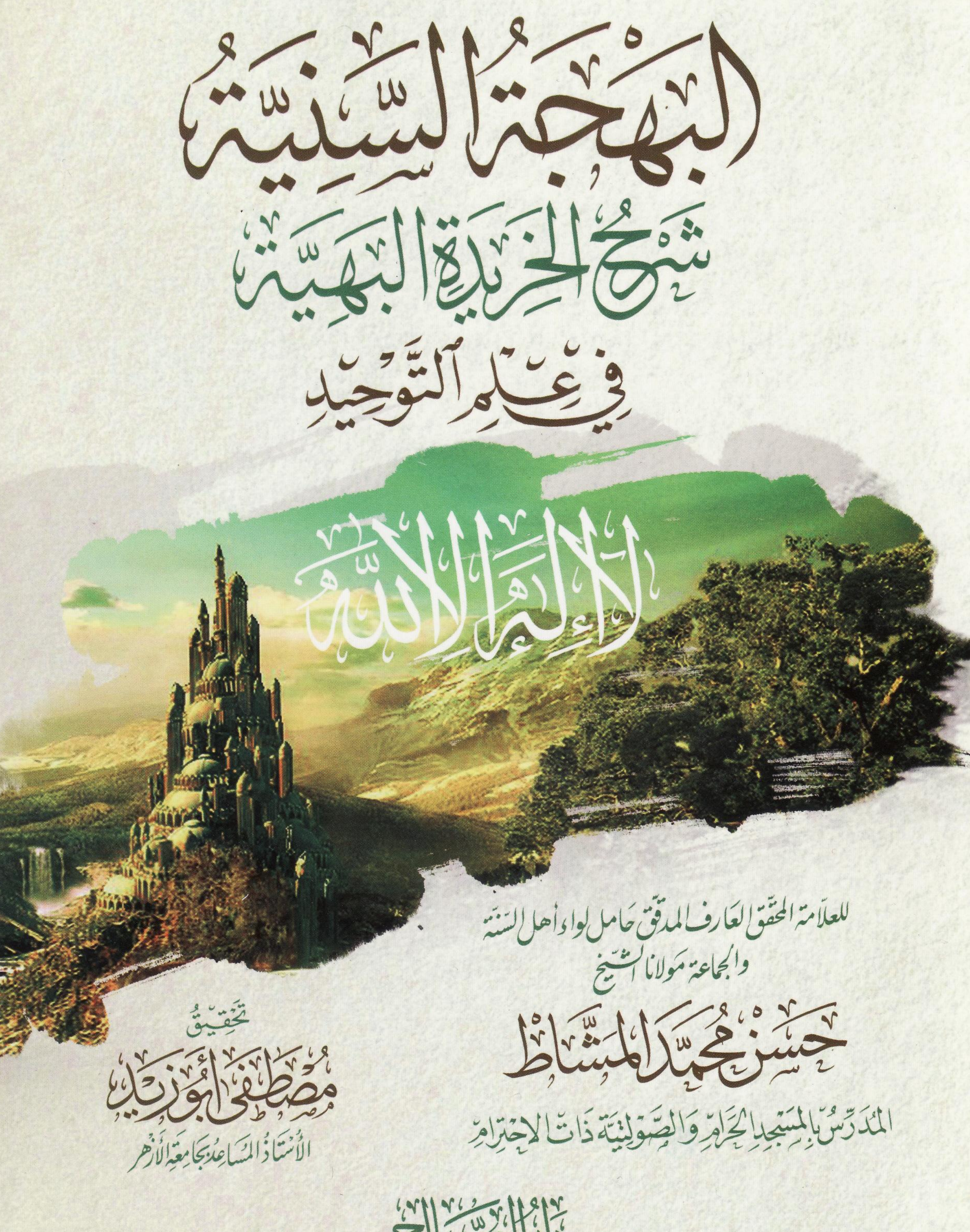
البهجة السنية

شرح الخريدة البهية في علم التوحيد



للعلامة المحقق العارف المدقق حامل لواء أهل السنة والجماعة مولانا الشيخ

حسن محمد المشاط

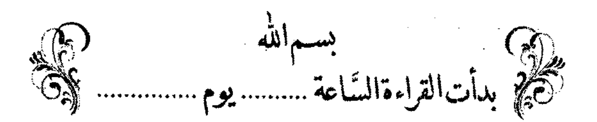
المدرس بالمسجد الحرام والصولتية ذات الاحترام

تحقيق

مصطفى أبو زيد

الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر

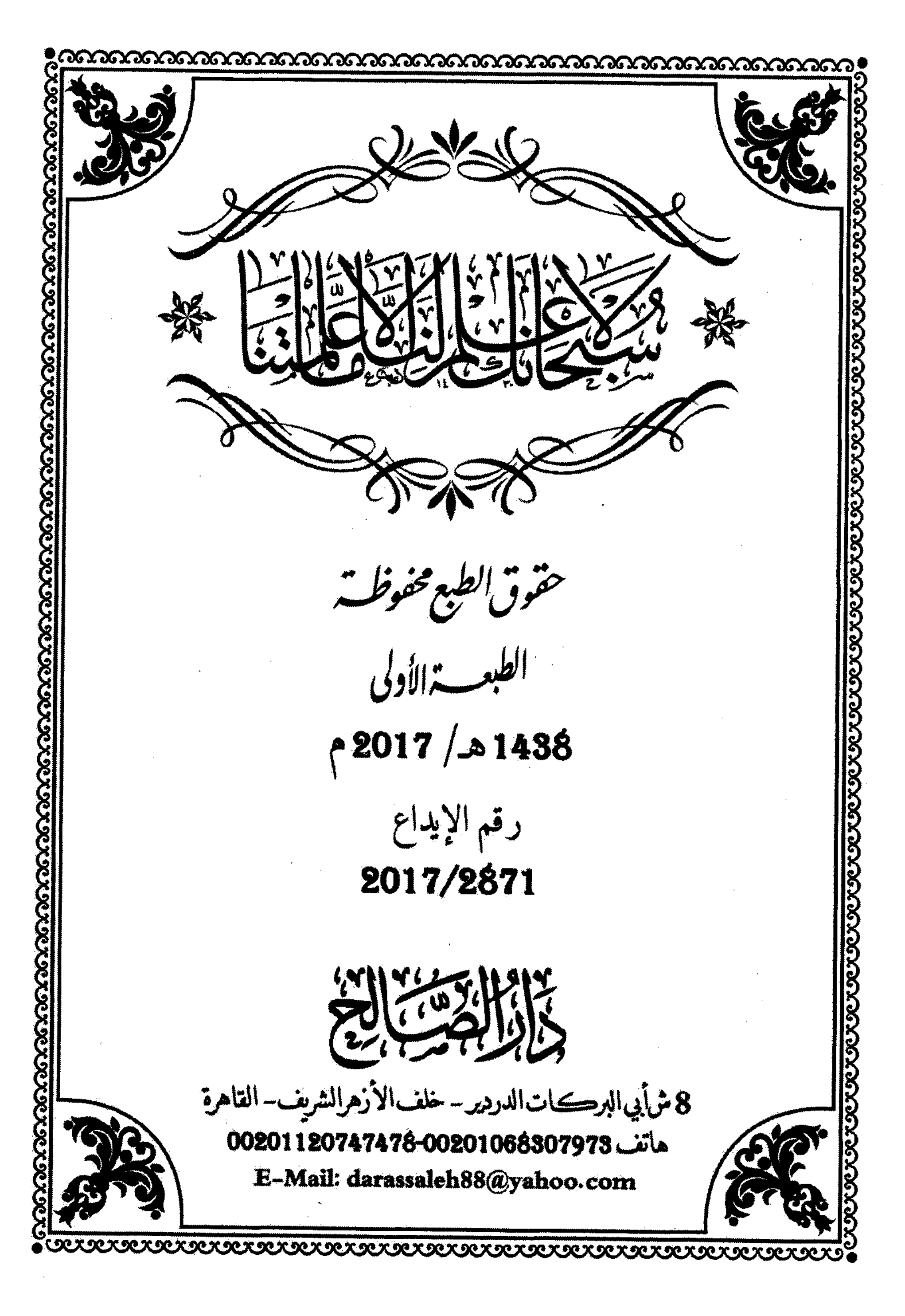
دار الصالح



البهجة السنية

شرح الخريدة البهية

في علم التوحيد



الطبعة الأولى

1438 هـ/ 2017 م

رقم الإيداع

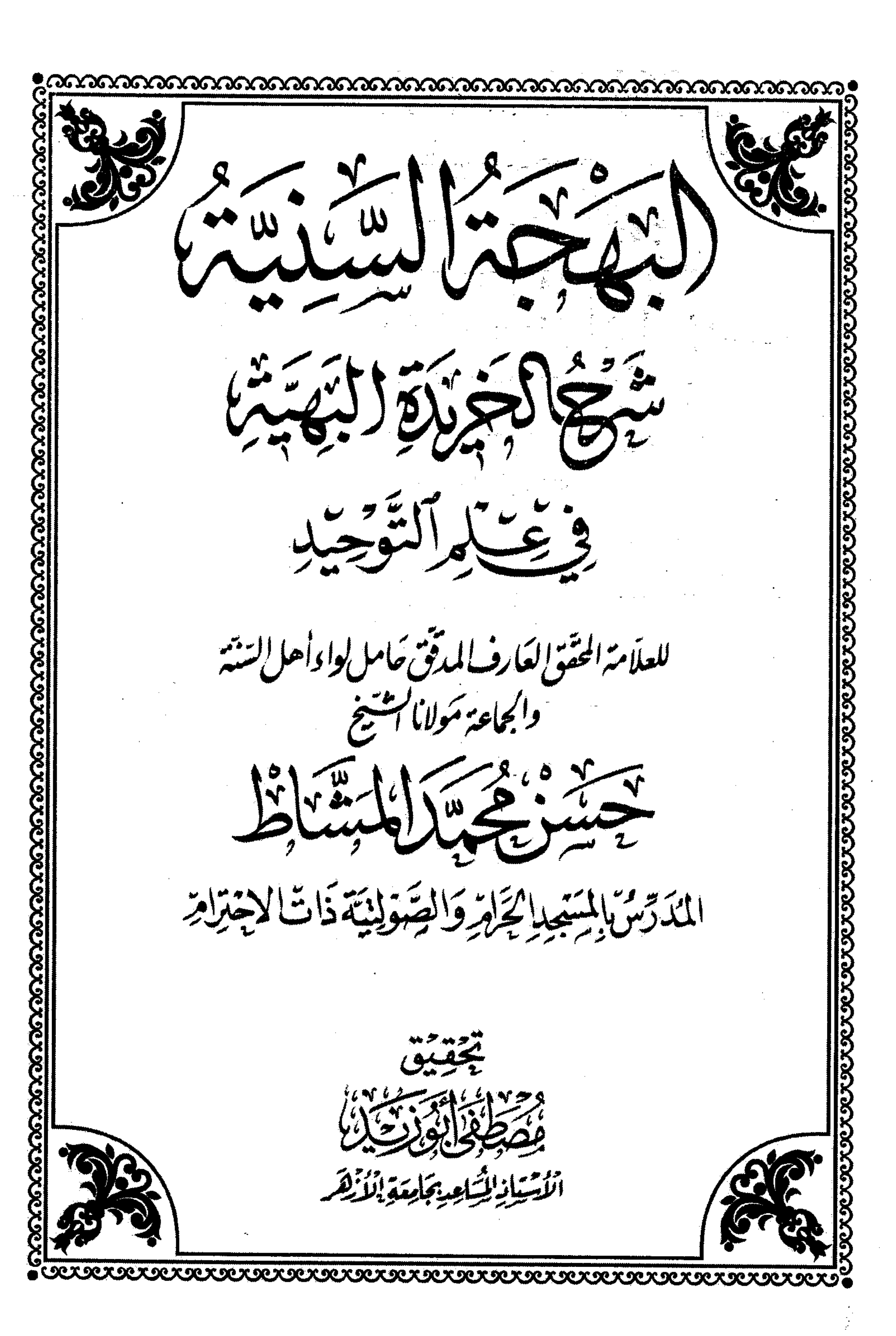
2017/2871

دار الصالح

8 ش أبي البركات الدردير - خلف الأزهر الشريف - القاهرة

هاتف 00201120747478-00201068307973

E-Mail: darassaleh88@yahoo.com



البهجة السنية

شرح الخريدة البهية

في علم التوحيد

للعلامة المحقق العارف المدقق حامل لواء أهل السنة
والجماعة مولانا الشيخ

حسن محمد المشاط

المدرس بالمسجد الحرام والصولتية ذات الاحترام

تحقيق

مصطفى أبو زيد

الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر





نيات قراءة الكتاب (*)

اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض، وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان.

أقدم لك بين يدي ذلك كله..

نويت بالتعلم وجه الله تعالى، ونشر العلم، وتعليمه، وبث الفوائد الشرعية، وتبليغ أحكام الله تعالى، والازدياد من العلم، وإحياء الشرع الشريف، ودوام ظهور الحق، وخمول الباطل، وإظهار الصواب، والرجوع إلى الحق، والاجتماع على ذكر الله تعالى، والدعاء للمسلمين، وللسلف الصالحين، ودوام خير الأمة، بكثرة علمائها، واغتنام ثوابهم، وتحصيل ثواب من ينتهي إليه هذا العلم، وبركة دعائهم لي وترحمهم علي، ودخولي في سلسلة العلم بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم وبينهم، وعدادي في جملة مبلغي الوحي، وأحكامه، وإزالة الجهل عن نفسي وعن غيري لله تعالى.

وشكر الله على نعمه: الصحة، والعقل، والمال، و........،

و........، و........، و........





(*) دار الصالح.

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، تفضل علينا بنعم لا تعد ولا تحصى وأولها نعمة معرفة أصول الدين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، الذي أرسله تعالى رحمة للخلق أجمعين، وأظهر دينه القويم على كل دين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، والتابعين بإحسان المجاهدين لكلِ ضال غاوٍ مبين.

وبعد، فإن علم التوحيد من أشرف العلوم وأعلاها قدرًا لتعلقه بالله تعالى وبرسله الكرام عليهم الصلاة والسلام، فبه يعرف الطالب ما يجب في حق مولانا تعالى، وما يستحيل، وما يجوز، وما يجب في حق رسله عليهم الصلاة والسلام، وما يستحيل، وما يجوز.

ومن أحسن المنظومات المؤلفة في هذا الفن وأوفاها، وأكثرها شهرة بين أيدي الطلاب منظومة «الخريدة البهية» لسيدي الإمام العلامة الرباني أبي البركات أحمد ابن محمد العدوي، المالكي، المشهور بالدردير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقد شرحها الناظم نفسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحشى عليه جمع من طلابه ومن علماء الأزهر الأنور.

وكان من جملة الشروح على هذا النظم المبارك شرح شيخ مشايخنا العلامة الفقيه القاضي سيدي حسن المشاط المكي، المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد انتهى الشيخ من تأليفه سنة ١٣٨٥ من الهجرة النبوية.

وهو شرح مختصر يصلح للمبتدئين في هذا الفن، راعى فيه الشيخ سهولة الأسلوب، ووضوح العبارة، وضبط الكلمات الصعبة، وهي ميزة لا توجد في أصله، فجاء لَبِنة أصيلة ركينة في صرح هذا العلم.

وقد اعتمدتُ في طبعتي هذه على طبعة قديمة طُبِعت في إندونيسيا، وقد وقعت لهم أخطاء وبعض سقط استدركته هنا، وقد ساعدني على استدراكه فضل الله تعالى، وعنايتي بـ«شرح الخريدة» لسيدي أبي البركات أحمد الدردير، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أما الأخطاء فنبهت على الأهم منها في مواضعها، ذاكرًا الصواب في الأصل، ومحشيًا بالخطأ في الهامش.

وأما مواضع السقط فزدتها في الأصل بين معقوفتين هكذا []، وقد أفدتها من «شرح الخريدة» لسيدي أحمد الدردير، ومن مراجعة الكتب التي اعتمد عليها الشارح رَحِمَهُ اللهُ.

وقدَّمتُ العمل بترجمة موجزة للشيخ اقتبستها مما كتبه تلميذه وخريجه معالي الأستاذ الدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، حفظه الله، عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

ومما غيَّرتُه في هذه الطبعة عن سابقتها أن جعلت أبيات الخريدة في أعلى الصفحات مع تمييز ما يشرحه المصنف بالخط الأسود الثقيل.

وقد علقت تعليقات يسيرة استفدتها من «شرح الخريدة البهية»، ومن التعليقات عليه.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في عملي، كما أسأله أن يجعله وسائر أعمالي خالصًا لوجهه الكريم، وأن يرزقني علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا واسعًا، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه:

هو العلامة، المحدِّث، الأصولي، الفقيه، القاضي، أبو أحمد حسن بن محمد بن عباس بن علي بن عبد الواحد المشَّاط، المكي، المالكي، المنافي، نسبة الى عبد مناف ابن قصي القرشي.

مولده ونشأته:

وُلد في الثالث من شهر شوال سنة ١٣١٧ من الهجرة النبوية، بحي القرارة، وأسرته من الأسر العلمية المكية العريقة التي أنجبت عددًا من العلماء.

ألحقه والده للدراسة بالكتاتيب، ثم بالمدرسة الصولتية سنة ١٣٢٩، وجرى تعيينه مساعدًا للمدرسين، وهو قريب من سن التخرج، وبعد تخرجه عمل بنفس المدرسة مدرسًا، مدة ثلاثين سنة، ونال شهادة الجدارة منها عام ١٣٣٦، ودرّس بالمسجد الحرام، ولازم علمائه، والتقى بعدد كبير من العلماء الواردين إلى البلد الحرام.

فمن أساتذته:

محمد الخضر بن مايابي الجكني، وعمر حمدان المحرسي، ولازم المشايخ محمد حبيب اللَّه الشنقيطي، ووالده الشيخ محمد المشاط.

وفي عام ١٣٦١ عُيِّن عضوًا في هيئة التمييز، وكان كعادة العلماء متورعًا عن هذه المسألة، حتى انحلت الهيئة عام ١٣٦٤، فسافر على إثر ذلك في رحلة مدتها عام تقريبًا إلى السودان، ومصر، وسوريه، ولبنان، والتقى بعلمائها.

في عام ١٣٦٥ عُيِّن وكيلًا لرئيس المحكمة الشرعية، وظل بها مدة عامين حتى صار قاضيًا بها.

وفي عام ١٣٧٢ عُيِّن عضوًا في مجلس الشورى، وما لبث أن أعيد إلى سلك القضاء معاونًا لرئيس المحكمة، واستمر فيها حتى قُبلت استقالته في عام ١٣٧٥ ففرح كثيرًا.

ولم ينقطع عن التدريس في المدرسة الصولتيه، ودرس المسجد الحرام، وقد تخرّج على يديه ولازمه علماء وأعيان كثيرون.

من مؤلفاته:

١) الثبت الكبير، ذكر فيه المؤلف شيوخه ومروياته.

٢) إنارة الدُّجى في مغازي خير الورى، ذكر فيه مغازي وسرايا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو شرح لمنظومة الشيخ أحمد بن محمد البدوي الشنقيطي.

٣) الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة، في علم أصول الفقه.

٤) رفع الأستار عن محيا مخدرات طلعة الأنوار في علم آثار النبي المختار، وهو شرح لمنظومة «طلعة الأنوار» للسيد عبد الله بن إبراهيم العلوي، وهو مختصر من ألفية الحافظ العراقي في مصطلح الحديث.

٥) التقريرات السنية على المنظومة البيقونية، وهو شرح ماتع للمنظومة البيقونية في مصطلح الحديث.

٦) إسعاف أهل الإسلام بوظائف الحج إلى بيت الله الحرام، ذكر فيه المؤلف آيات وأحاديث مختارة متعلقة بمناسك الحج.

٧) إسعاف أهل الإيمان بوظائف شهر رمضان، شرح فيه المؤلف مجموعة من الأحاديث الصحيحة الواردة في مسائل الصيام.

٨) البهجة السنية في شرح الخريدة البهية، وهو كتابنا هذا.

٩) أربعون حديثًا في الترغيب والترهيب، ختمها بحديث الحسنين في شمائل جدهما المحمدية.

١٠) الحدود البهية في الحدود المنطقية، رسالة عبارة عن أسئلة وأجوبة في علم المنطق، طبعت بعناية تلميذه الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان المالكي، وغيرها.

وفاتـه:

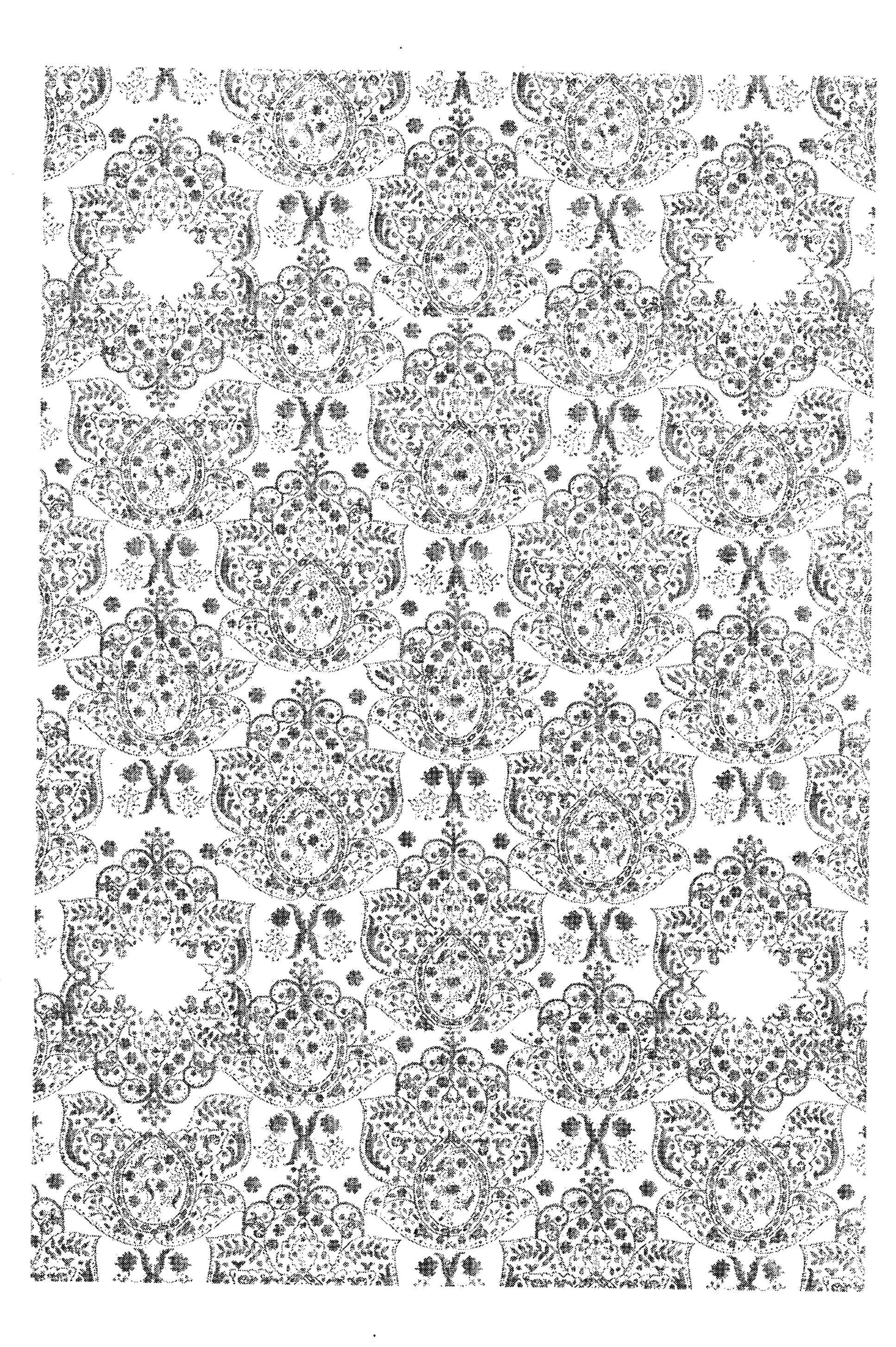
توفي الشيخ رحمه اللَّه تعالى في يوم الأربعاء السابع من شهر شوال سنة ١٣٩٩ (١).

***

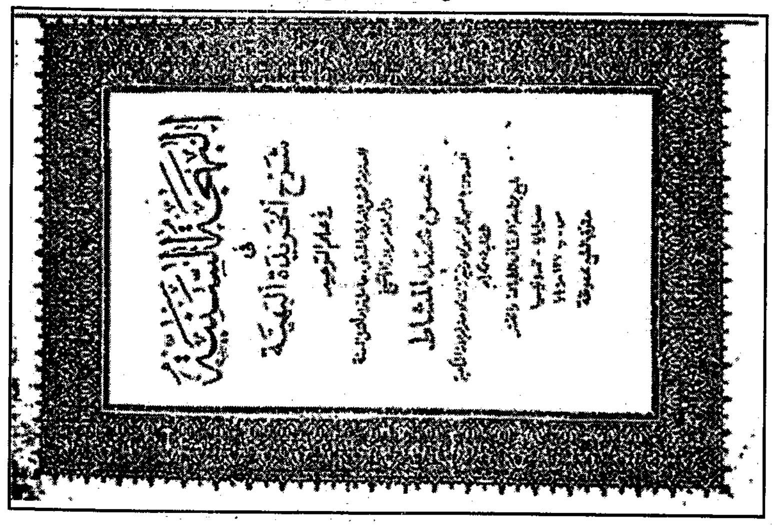
وقد أكرمني اللَّه تعالى بالرواية عن عدَّة من تلاميذه أجلهم عندي، وأقربهم إلى قلبي سيدي وأستاذي العلامة المحدث الشيخ محمد عوامة حفظه اللَّه تعالى وأدامه.

---

(١) ترجم للمؤلف ترجمة مُوسَّعَة تلميذه فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، في مقدمة تحقيقه لكتاب «الجواهر الثمينة» (ص١٧ : ٧٢)، ومنها اقتبست هذه الترجمة المختصرة.

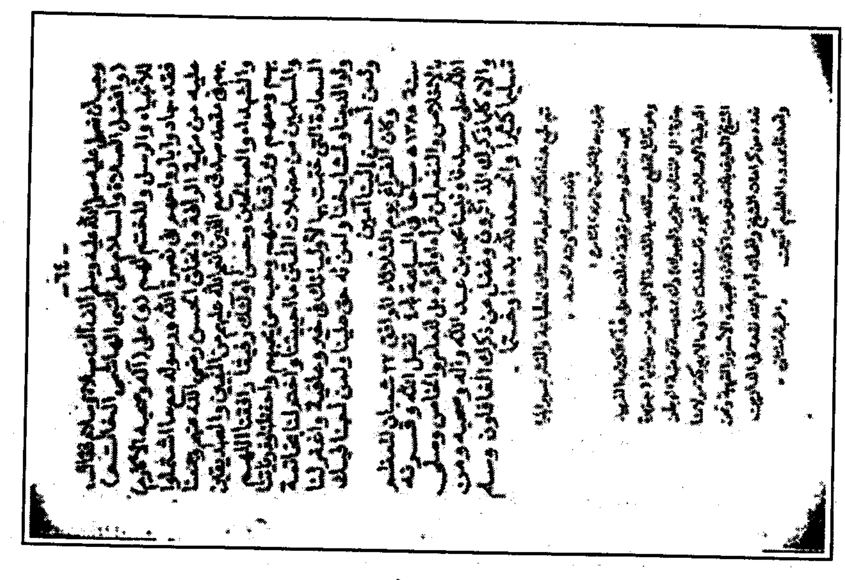


صور المطبوعة



غلاف الطبعة

الصفحة الأولى



الصفحة الأخيرة

متن الخريدة البهية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١	يَقُولُ رَاجِي رَحْمَةَ القَدِيرِ	أَيْ: أَحْمَدُ الْمَشْهُورُ بالدَّرْدِيرِ	١٨
٢	الْحَمْدُ لِلَّهِ العَلِيِّ الوَاحِدِ	العَالِمِ الفَرْدِ الغَنِيِّ الْمَاجِدِ	٢١
٣	وَأَفْضَلُ الصَّلاةِ والتَّسْلِيمِ	عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الكَرِيمِ	٢١
٤	وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الأَطْهَارِ	لَا سِيَّمَا رَفِيقِهِ فِي الغَارِ	٢٢
٥	وَهَذِهِ عَقِيدَةٌ سَنِيَّةْ	سَمَّيْتُهَا الْخَرِيدَةَ البَهِيَّةْ	٢٤
٦	لَطِيفَةٌ صَغِيرَةٌ فِي الْحَجْمِ	لَكِنَّهَا كَبِيرَةٌ فِي العِلْمِ	٢٤
٧	تَكْفِيكَ عِلْمًا إِنْ تُرِدْ أَنْ تَكْتَفِي	لأَنَّهَا بِزُبْدَةِ الفَنِّ تَفِي	٢٥
٨	واللَّهَ أَرْجُو فِي قَبولِ العَمَلِ	والنَّفْعَ مِنْها ثُمّ غَفْرَ الزَّلَلِ	٣٠
٩	أَقْسَامُ حُكْمِ العَقْلِ لا مَحَالَهْ	هِيَ: الوُجُوبُ، ثُمّ الاسْتِحَالَهْ	٣٢
١٠	ثُمَّ الْجَوازُ، ثَالِثُ الأَقْسَامِ	فَافْهَمْ مُنِحْتَ لَذَّةَ الأَفْهَامِ	٣٢
١١	وواجِبٌ شَرْعًا على الْمُكَلَّفِ	مَعرِفَةُ اللَّهِ العَلِيِّ فاعْرِفِ	٣٤
١٢	أَيْ: يَعرفُ الواجِبَ والْمُحَالا	مَعْ جَائِزٍ فِي حَقِّهِ تعالى	٣٥
١٣	ومِثْلُ ذَا فِي حَقِّ رُسْلِ اللَّهِ	عَلَيهِمِ تَحِيَّةُ الإِلَهِ	٣٦
١٤	فَالوَاجِبُ العقليُّ: مَا لَم يَقبَلِ	الانْتِفَا فِي ذاتِه فَابْتَهِلِ	٣٧
١٥	والْمُسْتَحِيلُ: كُلُّ مَا لَم يَقْبَلِ	فِي ذَاتِهِ الثُّبُوتَ ضِدُّ الأَوَّلِ	٣٧
١٦	وكُلُّ أَمْرٍ قَابِلٍ لِلانْتِفَا	ولِلثُّبُوتِ جَائِزٌ بِلا خَفَا	٣٨

١٧	ثُمَّ اعلَمَنْ بِأنَّ هذا العَالَمَا	* أيْ مَا سِوى اللّهِ العَلِيِّ العَالِمَا	٤٠
١٨	مِن غَيرِ شَكٍّ حَادِثٌ مُفْتَقِرُ	* لأنَّــهُ قَـامَ بِــهِ التَّغَيُّرُ	٤٠
١٩	حُدُوثُـهُ وُجُـودُه بَعْدَ العَدَمْ	* وضِـدُّهُ هو الْمُسَمَّى بالقِدَمْ	٤١
٢٠	فاعْلَمْ بأنَّ الوَصْفَ بالوُجُودِ	* مِنْ وَاجِبَاتِ الوَاحِدِ الْمَعْبودِ	٤٢
٢١	إذْ ظَاهِرٌ بِأنَّ كُلَّ أَثَرِ	* يَهْدِي إِلَى مُؤَثِّرٍ فَاعْتَبِرِ	٤٣
٢٢	وذِي تُسَمَّى صِفَةً نَفْسِيَّةْ	* ثُمَّ تَلِيهَا خَمْسَةٌ سَلْبِيَّةْ	٤٦
٢٣	وَهْيَ القِدَمْ بِالذَّاتِ فَاعْلَمْ والبَقَا	* قِيامُـهُ بِنَفْسِهِ، نِلْتَ التُّقَى	٤٦
٢٤	مُخَالِفٌ للغَيْرِ، وَحْدَانِيَّةْ	* فِي الذَّاتِ، أَوْ صِفَاتِهِ العَلِيَّةْ،	٤٧
٢٥	والفِعْـلِ، فَالتَّأثِيرُ لَيْسَ إلَّا	* لِلْوَاحِدِ القَهَّارِ جَلَّ وعَلا	٤٨
٢٦	ومَنْ يَقُلْ بالطَّبْعِ أو بِالعِلَّهْ	* فَذاكَ كُفْرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْمِلَّهْ	٥٠
٢٧	ومَنْ يَقُلْ بالقُوَّةِ الْمُودَعَةِ	* فَذاكَ بِدْعِيٌّ فلا تَلْتَفِتِ	٥١
٢٨	لَوْ لَم يَكُنْ مُتَّصِفًا بِها لَزِمْ	* حُدُوثُهُ وَهْوَ مُحالٌ فاسْتَقِمْ	٥٣
٢٩	لأنَّـهُ يُفْضِي إلى التَّسَلْسُلِ	* والدَّوْرِ وهْوَ الْمُستَحِيلُ الْمُنْجَلِي	٥٤
٣٠	فَهْوَ الجليلُ والْجَمِيل والوَلي	* والطَّاهِرُ القُدُّوسُ والرَّبُّ العَلِي	٥٤
٣١	مُنَزَّهٌ عن الحُلُولِ والجِهَةْ	* والاتِّصَالِ الانْفِصَالِ والسَّفَهْ	٥٥
٣٢	ثُمَّ الْمَعَانِي سَبْعَةٌ للرَّائي	* أي عِلْمُهُ الْمُحِيطُ بالأَشْيَاءِ	٥٧
٣٣	حَيَاتُهُ وقُدْرَةٌ إرادَهْ	* وكُلُّ شيءٍ كَائِنٌ أرادَهْ	٥٨
٣٤	وإنْ يَكُنْ بِضِدِّهِ قَدْ أَمَرا	* فالقَصْدُ غيرُ الأمرِ فاطْرَحِ المِرَا	٥٩
٣٥	فقَدْ عَلِمتَ أربَعًا أقْسَامَا	* فِي الكَائِنَاتِ فَاحْفَظِ الْمَقَامَا	٥٩
٣٦	كَلامُهُ والسَّمْعُ والإبْصَارُ	* فهُوَ الإلَهُ الفَاعِلُ الْمُخْتَارُ	٦٢

٣٧	وَوَاجِبٌ تَعْلِيقُ ذِي الصِّفَاتِ	حَتْمًا دَوَامًا مَا عَدَا الْحَيَاةِ	٦٥
٣٨	فالعِلْمُ جَزْمًا والكَلامُ السَّامِي	تَعَلَّقَا بِسَائِرِ الأَقْسَامِ	٦٦
٣٩	وقُدْرَةٌ إِرَادَةٌ تعَلَّقَا	بالْمُمْكِنَاتِ كُلِّهَا أَخَا التُّقَى	٦٧
٤٠	واجْزِمْ بِأَنَّ سَمْعَهُ والبَصَرَا	تَعَلَّقَا بِكُلِّ مَوجُودٍ يُرَى	٦٩
٤١	وكلُّها قَدِيمَةٌ بالذَّاتِ	لأَنَّهَا لَيْسَتْ بِغَيرِ الذَّاتِ	٦٩
٤٢	ثُمَّ الكَلامُ لَيس بالْحُروفِ	ولَيْسَ بالتَّرْتِيبِ كَالْمَأْلُوفِ	٧٠
٤٣	ويَسْتَحِيلُ ضِدُّ مَا تَقَدَّمَا	مِنَ الصِّفاتِ الشَّامِخاتِ فاعلَما	٧١
٤٤	لأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مَوْصُوفا	بِهَا لَكَانَ بِالسِّوَى مَعْرُوفا	٧٢
٤٥	وكُلُّ مَنْ قَامَ بِهِ سِوَاهَا	فهُوَ الذي فِي الفقْرِ قَدْ تَنَاهَى	٧٢
٤٦	والوَاحِدُ الْمَعْبُودُ لا يَفْتَقِرُ	لِغَيْرِهِ جَلَّ الغَنِيُّ الْمُقْتَدِرُ	٧٢
٤٧	وجَائِزٌ فِي حَقِّهِ الإِيجَادُ	وَالتَّرْكُ والإِشْقَاءُ والإِسْعَادُ	٧٣
٤٨	ومَنْ يَقُلْ فِعْلُ الصَّلاحِ وَجَبَا	عَلَى الإِلهِ قَدْ أَسَاءَ الأَدَبَا	٧٤
٤٩	واجْزِمْ أَخِي بِرُؤْيَةِ الإِلهِ	فِي جَنَّةِ الخُلْدِ بِلا تَنَاهِي	٧٦
٥٠	إِذِ الوُقُوعُ جائِزٌ بالعَقْلِ	وقَدْ أَتَى فِيهِ دَلِيلُ النَّقْلِ	٨٠
٥١	وَصِفْ جَمِيعَ الرُّسْلِ بِالأَمَانَهْ	والصِّدْقِ والتَّبْلِيغِ والفَطَانَهْ	٨٠
٥٢	ويَسْتَحِيلُ ضِدُّها عَلَيهِم	وجَائِزٌ كَالأَكْلِ فِي حَقِّهِم	٨٣
٥٣	إِرْسَالُهُم تَفَضُّلٌ وَرَحْمَهْ	للعالَمِينَ جَلَّ مُولِي النِّعْمَهْ	٨٤
٥٤	ويَلْزَمُ الإِيمَانُ بالْحِسَابِ	والْحَشْرِ والعِقَابِ والثَّوَابِ	٨٦
٥٥	والنَّشْرِ والصِّرَاطِ والْمِيزَانِ	والْحَوضِ والنِّيرَانِ والْجِنَانِ	٨٨
٥٦	والجِنِّ والأَمْلاكِ ثُمَّ الأَنْبِيَا	والْحُورِ والوِلْدَانِ ثُمَّ الأَوْلِيَا	٩٥

٥٧	وكُـلُّ مـا جَـاءَ مِـنَ البَشِيرِ * مِن كُلِّ حُكمٍ صَارَ كَالضَّرُورِي	٩٩
٥٨	ويَنْطَوِي فِي كِلْمَةِ الإِسْلامِ * ما قَدْ مَضَى مِنْ سائِرِ الأَحْكَامِ	١٠٠
٥٩	فأَكْثِرَنْ مِن ذِكْرِهَا بالأَدَبِ * تَرْقَ بِهَذَا الذِّكْرِ أَعْلَى الرُّتَبِ	١٠٣
٦٠	وغَلِّبِ الخَوْفَ عَلى الرَّجَاءِ * وسِرْ لِمَوْلاكَ بِلا تَنَاءِ	١٠٦
٦١	وجَدِّدِ التَّوْبَةَ لِلأَوْزَارِ * لا تَيْأَسَنْ مِنْ رَحمةِ الغَفَّارِ	١٠٧
٦٢	وكُنْ على آلائِهِ شَكُورا * وكُنْ على بَلائِهِ صَبُورا	١٠٩
٦٣	فَكُلُّ أَمْرٍ بالقَضَاءِ والقَدَرْ * وكُلُّ مَقْدُورٍ فَمَا عَنْهُ مَفَرْ	١١١
٦٤	فكُنْ لَهُ مُسَلِّمًا كَي تَسْلَما * واتْبَعْ سَبيلَ النَّاسِكِينَ العُلَما	١١١
٦٥	وخَلِّصِ القَلْبَ مِنَ الأَغْيَارِ * بالجِدِّ والقِيَامِ فِي الأَسْحَارِ	١١٥
٦٦	والفِكْرِ والذِّكْرِ على الدَّوامِ * مُجْتَنِبًا لِسائِرِ الآثَامِ	١١٧
٦٧	مُراقِبًا للّهِ فِي الأَحْوالِ * لِتَرْتَقِي مَعَالِمَ الكَمالِ	١١٩
٦٨	وقُل بِذُلٍّ رَبِّ لا تَقْطَعْنِي * عَنْكَ بِقاطِعٍ ولا تَحْرِمْنِي	١٢٠
٦٩	مِنْ سِرِّكَ الأَبْهَى الْمُزيلِ للعَمَى * واخْتِمْ بِخَيرٍ يا رَحيمَ الرُّحَما	١٢٠
٧٠	والحَمْدُ للّهِ على الإِتْمَامِ * وأَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ	١٢٢
٧١	على النَّبِيِّ الْهاشِمِيِّ الْخَاتِمِ * وآلِهِ وَصَحْبِهِ الأَكَارِمِ	١٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الشارح

الحمدُ للَّه حمدًا يوافي ما تزايد من النِّعم، والشكرُ له على ما أولانا من الفضل والكرم، والصلاة والسلام على أكرم العرب والعجم، المبعوث إلى سائر الأمم، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته وأمته أفضل الأُمم.

أما بعد، فيقول الفقير الرَّاجي الفوز على الصراط[1]، حسن محمّد عباس المَشّاط، كان اللَّه له، وأصلح في الدّارين أحواله:

سبب التأليف

لما رأيت منظومة أبي البركات سيدي أحمد الدردير المسماة بـ «الخريدة البهية» في علم التوحيد، كافية في موضوعها، منظومة مباركة مستوفاة كلّ ما يطلب من المكلّف في هذا الفن، وقد شرحها الناظم رحمه اللَّه تعالى شرحًا تَقَرّ به العيون، وتنشرح به الصدور، غير أن الهمم تقاصرت، وأصبح شأن العلم مُدْبِرًا، والناس عنه معرضون، فقصدت التَّقَرّب والتقريب، بوضع تعليق بسيط كالشرح الموجز لهذه المنظومة المباركة، رجاء النفع بها وبمؤلفها الذي حاز في العلوم أوفى نصيب، فكتبتُ بحسب ما يتيسر هذا التعليق، أرجو اللَّه تعالى به نفع العباد، وأن يكون لي ذخيرة يوم المعاد، بِمَنّه وكرمه.

---

(١) في المطبوعة «الصراط المستقيم»، وهذا لا يتناسب مع السجع الذي أراده المؤلف.

١ | يَقُولُ رَاجِي رَحْمَةَ القَدِيرِ * أَي: أَحْمَدُ الْمَشْهُورُ بالدَّرْدِيرِ

وما رأيتَ أيها المُطالع فيه على خطأ أو خَطَل[١]، فإنِّي أذنتُ في إصلاحه، وما قصدتُ إلا الخير، وباللَّه اعتمادي، وعليه استنادي، وصلى اللَّه وسلم على سيّدنا محمد وآله وأصحابه[٢]، وأهل وُدّه واقترابه، آمين.

ترجمة الناظم

(يقول راجي رحمة القدير) أي: اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **(أي: أحمد)** هو اسم المؤلف، فهو الإمام الجامع بين المعقول والمنقول، والفروع والأصُول، مربي المريدين، ونَاشر ألوية العلم والمعرفة على المستفيدين، أبو البركات سيدي أحمد ابن سيدي محمد الدردير، العَدوي، بفتح العين، نِسْبة إلى بني عدي، قرية عظيمة من قرى الصعيد، من بني عدي القبيلة المشهورة من قريش.

قال سيدي محمد السِّبَاعي، وهو[٣] أحد تلامذة الشيخ رحمه اللَّه تعالى: «ولد الناظم سنة سبع وعشرين بعد المئة والألف، وقد تَرَبّى تربية حسنة، ولما أكمل قراءة القرآن عن ظهر قلب شرع في طلب العلوم حتى حَقَّقَ الفنون، واقتبس من أنوارها، وتضلّع من أنهارها، أخذ عن أئمة أعلام، لهم في العلم أعلى مقام، منهم العالم المُتَفَنّن سيدي عليّ الصعيدي، العَدوي، والشيخ الكبير سيدي [عمر][٤] الطحلاوي.

---

(١) الخَطَلُ المنطِقُ الفاسِدُ المضطَرِبُ، وقد خَطِلَ في كلامه من باب طَرِبَ، وأَخْطَلَ، أي: أَفْحَشَ. «مختار الصحاح» (ص٩٣).

(٢) في المطبوعة «وصحبه»، والتصويب مني ليتم السجع.

(٣) في المطبوعة «عن».

(٤) في المطبوعة «سالم»، وكذا هو في أصل النقل «حاشية السباعي» (ص١٧)، =

يَقُولُ رَاجِي رَحْمَةَ القَدِيرِ * أَي: أَحْمَدُ الْمَشْهُورُ بالدَّرْدِيرِ | ١

والأول عن سيدي محمد الصغير، عن سيدي عبد الباقي الزرقاني، عن سيدي على الأجهوري.

والثاني عن الشهاب أحمد النفراوي.

وأخذ أيضًا عن الإمام العارف شمس الدين محمد بن سالم الحفناوي الشافعي، ونُفع به، وعنه تلقى الميراث الأكبر المحمدي، وقد رأى بعض الصالحين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبَشّره بأن الإمام الدردير أُعطِي ما لا عين رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، كيف لا وقد جمع علم الشريعة المطهرة عن الشمس الحِفناوي المذكور، وعن الشيخ الصعيدي، وعن الشهاب أحمد الملوي، وعن الشمس محمد بن محمد الدفري، وكلّ منهم أجازه إجازة عامة، وأخذ عن آخرين أيضًا وأجازوه.

أما الأول فعن الشمس محمد ابن المَيّت، عن مشايخه الذين أثبتهم في «ثبته»[1]، منهم: النور الشَّبْرَامَلِّسي، والبرهان الكُوراني، وغيرهم.

= لكن في ترجمته من: «عجائب الآثار» (١/٣٣٨) أنه عمر، وهو ابن علي بن يحيى ابن مصطفى الطحلاوي، المالكي، الأزهري، تفقّه على الشيخ سالم النفراوي، وحضر دروس الشيخ أحمد الملوي، والشبراوي، والبَليدي، وسمع الحديث على الشهاب أحمد البابلي، وتمهّر في الفنون، ودَرَّس بالجامع الأزهر، وبالمشهد الحسيني، كان للناس فيه اعتقاد حسن، وعليه هيبة، ووقار، وسكون، ولكلامه وقع في القلوب، توفي سنة (١١٨١).

(١) واسمه «الجواهر الغوالي في الأسانيد العوالي» لخصه من «الأمم» للكوراني، **وابن الميِّت**: هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد البُديري، =

١ | يَـقُـولُ رَاجِـي رَحْـمَـةَ القَدِيرِ * أَي: أَحْمَـدُ الْمَشْـهُورُ بالدَّرْدِيرِ

وأما الثاني فعن الشمس محمد بن محمد عَقيلة، عن الأئمة المذكورين في إسناده، منهم: الشيخ الكبير، محدّث الحجاز الشهير، عبد اللَّه بن سالم البصري، عن أئمة منهم: الشمس البابلي، عن النور الزيادي، عن الشهاب الرملي، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وأبي الفضل جلال الدين السيوطي وغيرهم.

وأما الثالث والرابع، فمن أئمة منهم: مسند الحجاز عبد اللَّه البصري المذكور»[١].

ولد الناظم بالصعيد سنة سبع وعشرين بعد المئة والألف[٢]، وتوفي رحمه اللَّه تعالى سنة واحد بعد المئتين والألف، ليلة الجمعة لثمان خلت من ربيع الأول، ودفن بمسجده الكائن بالكعكيين بجوار سيدي يحيى بن عقب رحم اللَّه الجميع، وأنالنا بهم المقام الرفيع.

(المشهور بالدردير) بفتح الدال الأولى، وكسر الثانية، بينهما راء ساكنة، قال الناظم في «شرحه»[٣]: «وكذا اشتهر أولاد الجد كلهم بهذا اللقب».

= الحُسيني، الدمياطي، الشافعي، المعروف بابن الميّت، وبالبرهان الشامي، المتوفى سنة (١١٤٠).

(١) «حاشية السباعي» (ص١٧، ١٨).

(٢) كرر الشارح المولد هنا أيضًا لتثبيته في ذهن الطلاب، وخاصة أنهم يهتمون بحفظ عام الوفاة أكثر.

(٣) «شرح الخريدة البهية» (ص١١٨).

٢ | الْحَمْدُ للَّهِ العَلِيِّ الوَاحِدِ * العَالِمِ الفَرْدِ الغَنِيِّ الْمَاجِدِ
٣ | وَأَفْضَلُ الصَّلاةِ والتَّسْلِيمِ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الكَرِيمِ

قال العلامة السباعي: «وسببه أن جد الشيخ كانت حاملًا به والدته، وأضافهم رجل من مشايخ عربان محارب، يقال له: الدردير، فوضعت أمه في تلك الليلة فلقّبوه بذلك»[١].

فضل سيدنا رسول الله

(وأفضل الصلاة والتسليم على النبي المصطفى الكريم) المختار من بين الخلق بالسيادة والشرف العظيم على جميع العالم، حتى الأنبياء والرسل، للحديث الصحيح: **«إنَّ اللَّه اصطفى كِنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كِنانةَ، واصطفى من قريشٍ بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خِيار من خيار من خيار»**[٢].

---

(١) «حاشية السباعي» (ص١٩).

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» (ح٢٢٧٦)، والترمذي في «سننه» (ح٣٦٠٦) من حديث واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدون زيادة: «فأنا خيار من خيار من خيار»، لكنها عند الطبراني في «الأوسط» (ح٦١٨٢)، و«الكبير» (ح١٣٦٥٠) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولفظه: **«إن اللَّه خلق السماوات سبعًا، فاختار العليا فسكنها، وأسكن سائر سماواته مَن شاء من خلقه، وخلق الأرضين سبعًا، فاختار العليا وأسكنها من شاء من خلقه، ثم خلق الخلق، واختار من الخلق بني آدم، فاختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مُضر، واختار من مُضر قريشًا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا من خيار إلى خيار، فمن أحب العرب فلحبي أكرمهم، ومن أبغض العرب فلبغضي أبغضهم»**.

قال الحافظ ابن حجر في «الأمالي المطلقة» (ص٦٨): «هذا حديث حسن، أخرجه الطبراني في «الكبير»، و«الأوسط»».

٤ | وَآلِـهِ وَصَـحْـبِـهِ الأَطْـهَـارِ * لَا سِـيَّمَا رَفِيقِـهِ فِي الغَـارِ

شرح الشيخ حسن محمد المشاط المكي المالكي

فهو سيدنا محمد بن عبد اللَّه بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضر، وهو قريش على القول الأكثر.

أمّا قُرَيشٌ فَالأَصَحُّ فِهْرُ * جِمَاعُها، والأَكْثَرُونَ النَّضْرُ[1]

يقول العبد الفقير لرحمة ربه كان اللَّه له: يتعين حفظ هذا النسب الشريف، إذ به يُعرف سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصوله الكِرام المطهرة، ويقبح بالإنسان ألا يعرف نسب سيّده.

نَسَبٌ تَحْسِبُ العُلَا بِحُلَاهُ * قَلَّدَتهَا نُجُومَهَا الجَوزَاءُ

مِنْ سَاجِدٍ لِسَاجِدٍ تَقَلَّبَا * صَلَّى عَلَيهِ اللَّهُ مَا هَبَ الصَّبَا

معنى الآل والصحب

(وآله) معطوف على النبي، أي: وعلى آله، وهم أقاربه المؤمنون من بني هاشم والمطلب، وفي مقام الدعاء كما هنا: اتباعه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مطلقًا، وقيل: الأتقياء من أمته، **(وصحبه)** وهم من آمن به، واجتمع معه، أَوَانَ حَمْلِ الدعوة ولو مرة واحدة.

وَهُم عُدُولٌ كُلُّهُم لا يَشْتَبِه * النَّوَوِي أَجْمَعَ مَنْ يُعْتَدُّ بِه[2]

أفضلية الصديق

(لا سيما) لا مثل الذي[3] **(رفيقه)** عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ **(في الغار)**

(١) البيت للحافظ العراقي من ألفيته في السيرة النبوية، المسماة: بـ «الدرر السنية» (ص٣٤).

(٢) البيت للحافظ السيوطي من ألفيته في علوم الحديث (ص٢٦٦) مع شرح الترمسي «منهج ذوي النظر».

(٣) الغرض من الإتيان بلفظ «لا سيما»: هو إفادة أن ما بعدها وما قبلها=

وَآلِــهِ وَصَـحْـبِـهِ الأطْـهَـارِ * لَا سِـيَّمَا رَفِيقِـهِ فِي الغَـــارِ | ٤

أي: غار جبل ثور، وهو سيدنا أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

خَصَّهُ بالذِّكر مع دخوله في عموم الأصحاب: تنويهًا بعظم شأنه، إذ هو أفضلهم على الإطلاق.

والغار: هو ثقب في جبل ثور بالمسفلة في طريق مكة إلى اليمن، على نحو ساعة بالمشي على القَدَم، دخله رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر حين خرجا مهاجرين من مكة إلى المدينة المنورة، ومكثا فيه ثلاثة أيام، وذهب المشركون في طلبهما، واقتفوا أثرهما حتى جاءوا إلى الغار، فانقطع الأثر، فجعلوا يفتشون حتى قال بعضهم: «انظروا الغار»، فقالوا: «ليس في الغار أحدٌ»، ولو نظروا أدنى نظرة لرأوهما، فاشتد الكرب على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خوفًا على رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: «إنهم لو نظروا تحت أقدامهم لرأونا»، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تحزن إن اللّه معنا**»(١).

= مشتركان في أمر واحد، ولكن نصيب ما بعدها أكثر وأوفر من نصيب ما قبلها، ولذا يقول النحاة: إن «لاسيَّ»، معناها: لا مثل.

أما إعرابها: فلا تتغير حركة حروفها مهما اختلفت الأساليب، وأن الاسم الذي بعدها يجوز فيه الأوجه الثلاثة الجر والرفع والنصب. انظر «النحو الوافي» (١/ ٤٠).

(١) أخرجه بمعناه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٨٥)، عن حُبْشِيّ بن جُنادة، قال: قال أبو بكر الصديق: «يا رسول اللّه، لو أن أحدَ المشركين رفع قدمه لأبصرنا!!» قال: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**». وانظر «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للسيوطي (٤/ ١٩٨، ١٩٩).

٥ وَهَـــذِهِ عَـقِـيـدَةٌ سَـنِـيَّـةْ * سَـمَّيْتُهَا الْخَرِيـدَةَ الْبَهِيَّـــةْ

٦ لَطِيفَـةٌ صَغِيـرَةٌ فِـي الْحَجْـمِ * لَـكِـنَّـهَـا كَـبِـيـرَةٌ فِـي الْعِـلْـمِ

فأعمى اللَّه أبصارهم كما أعمى بصائرهم، ومَزِيَّةُ هذا الغار لم تكن لغير هذا الصِّدِّيق انفرد بها عن سائر الصحب الكرام، فهو صاحبه في الغار، كما هو صاحبه في جميع مراحل الحياة، وفي البرزخ وما بعده.

وأثبت القرآن صحبته بِذِكْرٍ يُتْلَى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾(١)، فمن أنكرها فقد أنكر القرآن، ومن أنكره أو شيئًا منه فقد كفر.

(وهذه عقيدةٌ) جمع عقائد، وهى القضية المُعْتَقَدةُ، كقولنا: كلُّ كمال واجب للَّه يجب صدقه، **(سَنِيَّةْ)** واضحة في الدلالة على معناها، **(سميتها: الخريدةَ البهيةْ)** الخريدة في الأصل: لؤلؤة لم تُثقب، والبهية: من البهاء، وهو الضياء.

ميزات هذا النظم

ثم ذكر الناظم من نعوت هذه «الخريدة» ما يُرَغِّب في قراءتها وتحسينها فقال:

[١] **(لطيفة)** من لَطُفَ ككَرُمَ: دَقّ بالدال، أو رَقّ بالراء، فاللطيف الصغير الحجم، أو الرقيق والشفاف الذي لا يحجب ما وراءه، كالزجاج، **(صغيرة في الحَجْم)** بفتح الحاء المهملة، وسكون الجيم، أي: القَدْرِ، وهذه المنظومة المباركة إحدى وسبعون بيتًا، تشتمل على:

ـ ما يجب للَّه، وما يجوز، وما يستحيل.

---

(١) سورة التوبة، الآية (٤٠).

لَطِيفَـةٌ صَغِيـرَةٌ فِـي الْحَجْـمِ * لَـكِـنَّـهَـا كَـبِـيـرَةٌ فِـي الـعِـلْـمِ	٦
تَكْفِيكَ عِلْمًا إِنْ تُرِدْ أَنْ تَكْتَفِي * لأَنَّـهَـا بِـزُبْـدَةِ الـفَـنِّ تَـفِـي	٧

- وكذلك للرسل الكرام.
- وعلى البراهين والسمعيات.
- وعلى جملة من التصوف.
- وخُتمتَ بما اشتملت عليه كلمة التوحيد من الفوائد.

[٢] ولما كان قوله: «صغيرة في الحجم» مُوهمًا أنها قليلة العلم استدرك بدفع هذا التَّوهم بقوله: **(لكنّها كبيرة)** أي: عظيمة **(في العلم)**، وذلك لما اشتملت على ما ذُكر من العقائد الحقة، الواجب على المكلف أن يتعلمَها، والبراهين القطعية التي يخرج بها من رِبقة التقليد إلى نور التحقيق، حتى لا يكون في إيمانه خلاف.

[٣] **(تكفيك)** هذه المنظومة **(علمًا)** في دينك **(إن تُرِد أن تكتفي)**، والجملة مقولة القول، و«تكتفي» من الكفاية وهي الاستغناء، أن يكفيك العلم المستفاد منها «إن تُرِد» بضم التاء، أي: تقصد أن تكتفي بِهَا عن غيرها من المطولات.

[٤] وذلك لِأنهَّا **(بزُبدة)** بخلاصة **(الفنّ)**، وهو فن عقائد الايمان، ويسمى: علم التوحيد، وعلم أصول الدين، وعلم العقائد، **(تفي)** من وَفَى يفي، مثل وَقَى يقِي أصله توفي.

وذلك لما اشتملت عليه المنظومة من الواجب، والجائز، والمستحيل في حق اللَّه تعالى، وفي حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن السمعيات.

٧ | تَكْفِيكَ عِلْمًا إِنْ تُرِدْ أَنْ تَكْتَفِي * لأَنَّـهَـا بِـزُبْـدَةِ الـفَـنِّ تَـفِي

مبادئ علم التوحيد

مبادئ الفن (١)

واعلم أن هذا الفن يُعَرَّفُ بأنه: علم يُقتدر به على إثبات العقائد الدينية، المكتسبة من أدلتها اليقينية.

وموضوعه: ذات الإله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ المعلوم من حيث يتعلق به إثبات العقائد الدينية.

وغايته: معرفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والفوز بالسعادة الأبدية، وبهذه الغاية يصير الإيمان والتصديق بالأحكام الشرعية مُحكمًا متقنًا، لا تزلزله شُبه المُضِلّين المبطلين.

---

(١) للعلوم مبادئ عشرة ذكرها العلماء لتعين الطلاب على الولوج في العلوم، فبالحَدّ يَعرفُ الطالب ما هو ساعٍ في طلبه، **وبالموضوع** يمتاز له ذلك العلم من غيره، لأن العلوم كلها جنس، وإنَّما تفترق بالموضوعات، **وبالأسماء** كذلك يتميّز العلم عن غيره، **وبالفائدة** يَقْوَى الباعث على الطلب، **وبالفضل** يعرفُ شَرف هذا العلم، فيزاد باعثه على تحصيله، **وبالنسبة إلى ما عداه من العلوم** يَعرف موقعه بين العلوم، **وبالواضع**، ـ والمقصود بالواضع: هو المُدَوِّن، وإلا فالعلوم كلّها من رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، والمدوّن جامع لذلك كله عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وصحابته وتابعيهم حتى عصره ـ يعرف المؤسس وواضع البذرة الأولى للعلم، **وباستمداده** يعرف مأخذ العلم، وأيضًا هذا له تعلق بالواضع باعتبار أنه جمع علم مَن سبقه إلى سول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فيعلم أنه ليس مُنشئًا للعلم ومبتدعًا له، وإنما هو جامع ومُشَهِّرٌ لما اندثر أو غاب عن العقول، **وبحكم الشارع فيه** يعرف مقدار احتياجه لهذا العلم وجوبًا، وندبًا، وإباحة، وعدم احتياجه له إن كان في حيز الكراهة، والحرمة، وبمسائله يعرف تفصيلات موضوعاته. انظر مقدمة «شرح الخريدة» (ص٢٩).

٧ | تَكْفِيكَ عِلْمًا إِنْ تُرِدْ أَنْ تَكْتَفِي * لأَنَّـهَـا بِــزُبْــدَةِ الـفَــنِّ تَـفِـي

ومسائله: القضايا الشرعية النظرية الاعتقادية، كقولنا: يجب لله تعالى كل كمال، والتنزيه عن كل نقص، وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك.

واستمداده: من تفسير كلام الله تعالى، والحديث، والفقه، والإجماع، فظهر لك بهذا كله أن موضوع هذا العلم أشرف الموضوعات، ومعلومه أجل المعلومات، وغايته أشرف الغايات، فهو أشرف الموضوعات، وهو أشرف العلوم.

وواضعه: الحسن البصري[1]، وذلك أن رجلًا وقف على مجلس الحسن وقال: «يا إمام ظهر في هذا الزمان جماعة يكفرون صاحب الكبيرة ـ يعني: بهم الخوارج[2] ـ، وجماعة يقولون: لا يَضُرّ مع

---

(١) الصحيح في هذه المسألة ما ذكره اليوسي في «قانونه» (ص١٨٢): أن الإمام أبا الحسن هو الذي دَوَّنَ هذا العلم، وهذَّب مطالبه، ونَقَّحَ مشاربه، فهو إمام أهل السُّنة من غير مدافع، ولكن عَدُّه واضعًا غير بَيِّن، فإن هذا العلم كان قبلَه، وكانت له علماء يخوضون فيه، كعبد الله بن كُلَّاب، وكانوا قبل الشيخ يسمون **بالمُثْبِتة**، لأثباتهم ما نفته المعتزلة، قال: «والأولى أَنَّه **عِلم قرآني**، لأنه مبسوط في كلام الله تعالى بذكر العقائد، وذكر النبوات، وذكر السّمعيات، وذلك مجمُوعُه... وتكلَّم فيه **النبي** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كإبطاله اعتقاد الأعراب في الأنواء، وفي العدوى، وغير ذلك، وهلم جرًّا». انتهى بتصرف.

(٢) **الخوارج:** أصل هذه الفرقة: هم الذين خرجوا على عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ممن كان معه في حرب صفين، وأعلنوا القول بالتبري من عثمان وعليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ومن منهجهم: تكفير المسلمين، والخروج على الحاكم حقًّا واجبًا إذا خالف السنة، وقد ابتلي المسلمون بهم في كل عصر ومصر.

الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ـ يعني: بهم المرجئة ـ فما نعتقده من ذلك؟».

فأطرق الحسن مُتفكّرًا في الجواب، فبادره واصل بن عطاء بالجواب فقال: «أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقًا، ولا كافر مطلقًا»، وقام إلى أُسطوانة في المسجد يقرر مذهبه، ويثبت المنزلة بين المنزلتين، ويقول: «الناس ثلاثة: مؤمن، وكافر، ولا مؤمن ولا كافرٌ، وهو صاحب الكبيرة، إذا مات بلا توبة».

فقال الحسن: «اعتزل عنّا واصل»، فسُمّوا لذلك المعتزلة، وهم سموا أنفسهم: أصحاب العدل والتوحيد.

وجاء بعد واصل أبو على الجُبَّائي(١)، وكان أبو الحسن الأشعري في صغره تلميذًا له في العقائد إلى أن ظهر له فساد مذهبه فرجع إلى ما عليه الجماعة من الصحابة والتابعين، وتلقّاه منهم بالقبول أئمة الدين.

وأبو الحسن هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر، واسمه: إسحاق ابن سالم بن إسماعيل بن عبد اللَّه بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، الصحابي.

(١) **أبو علي الجُبَّائي:** هو محمد بن عبد الوهاب البصري، ولد سنة (٢٣٥هـ)، من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره، وإليه تنسب الطائفة (الجُبَّائية)، له مقالات وآراء تفرّد بها في المذهب، وله كتاب «الأصول»، و«النهي عن المنكر»، و«الاجتهاد»، و«الأسماء والصفات»، ردَّ عليه الأشعري، توفي سنة (٣٠٣هـ). ترجمته من: «سير أعلام النبلاء» (١٨٣/١٤)، و«الأعلام» (٢٥٦/٦).

تَكْفِيكَ عِلْمًا إِنْ تُرِدْ أَنْ تَكْتَفِي * لأَنَّـهَـا بِـزُبْـدَةِ الـفَـنِّ تَـفِـي | ٧

فائـدة

في «شرح عليش على إضاءة الدُّجُنّة في عقيدة أهل السنة» للإمام المَقَّرِي[1]: «رُوي أن عمر بن عبيد من رؤساء المعتزلة قال: إن بين الكفر والإيمان منزلة بين المنزلتين، فقالت له عجوز قال اللّه تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾[2]، فلم يجعل اللّه من عباده إلا المؤمن والكافر، فبطل قولك، فسمع سفيان الثوري كلامها فقال: «عليكم بدين العجائز»[3]».

(١) (ص٣٦)، **والمَقَّرِي**: هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى التلمساني، المؤرخ الأديب الحافظ، صاحب «نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب»، ولد ونشأ في تلمسان وانتقل إلى فاس، فكان خطيبها والقاضي بها، وتنقل في الديار المصرية والشامية والحجازية، وتوفي بمصر سنة (١٠٤٤)، ودفن في مقبرة المجاورين، له أيضًا: «أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض»، و«إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة»، وغيرها. انظر: «الأعلام» (٢٣٧/١).

(٢) سورة التغابن، الآية (٢).

(٣) لم أقف عليه من كلام الثوري، وهي منسوبة لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني، نسبها تاج الدين السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (١٨٥/٥) في ترجمته، وقد وجهها التاج السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «ظاهر هذه الحكاية عند من لا تحقيق عنده البشاعة، وأنه خَلّى الإسلام وأهله، وليس هذا معناها، بل مراده: أنه أنزل المذاهب كلها في منزلة النظر والاعتبار غير متعصب لواحد منها، بحيث لا يكون عنده ميل يقوده إلى مذهب معين من غير برهان، ثم توضح له الحق، وأنه الإسلام، فكان على هذه الملة عن اجتهاد وبصيرة لا عن تقليد، ولا يخفى =

٨ | وَاللَّـهَ أَرْجُـو فِـي قَبـولِ العَمَلِ * وَالنَّفْـعَ مِنْهـا ثُـمّ غَفْـرَ الزَّلَـلِ

دعـاء وتـضـرع

(والله) بالنصب على الاختصاص مُقَدّم على عامله، وهو (أرجو) أي: لا أرجو إلا الله (في قبول العمل) الذي منه نظم هذه العقيدة، وقبول الشيء: الرضا به وعدم رَدّه، والرجاء ـ بالمد ـ لغة: الأمل، وعُرفًا: تعلُّقُ القلب بحصول المرغوب فيه مع الأخذ في الأسباب.

قال سيدي أحمد بن عطاء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في «الحِكم»[1]: «الرجاء: ما قارنه عمل، وإلا فهو أمنية»، أي: طمع، وهو مذموم.

(و) أرجوه (النفع منها) أي: بها، لكل مَن قرأها، أو طالعها، أو حصلها، أو كتبها، كما قال النّاظم في «شرحه»[2]، وهذا من كمال شفقة الناظم على من له أدنى اتصال به، وهو خُلُقٌ شريف مصدره خُلُقِ سيد الوجود الرؤوف الرحيم عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ.

= أن هذا مقام عظيم لا يتهيأ إلا لمثل هذا الإمام، وليس يُسْمَح به لكل أحد، فإن غائلته تُخشى إلا على من بَرّز في العلوم، وبلغ في صحة الذهن مبلغ هذا الرجل العظيم، فأرشد إلى أن الذي ينبغي عدم الخوض في هذا واستعمال دين العجائز، ثم أشار إلى أنه مع بلوغه هذا المبلغ، وأخذه الحق عن الاجتهاد والبصيرة لا يأمن مكر الله، بل يعتقد أن الحق إن لم يدركه بلطفه ويختم له بكلمة الإخلاص، فالويل له ولا ينفعه إذ ذاك علومه وإن كانت مثل مدد البحر.

فانظر هذه الحكاية ما أحسنها وأدلها على عظمة هذا الإمام، وتسليمه لربه تعالى، وتفويضه الأمر إليه، وعدم اتكاله على علومه، ثم تعجب بعدها من جاهل يفهم منها غير المراد ثم يخبط خبط عشواء».

(١) (ص٥١) بشرح محمد حياة السندي.

(٢) (ص١٣٧).

والـلَّـهَ أَرْجُـو فِـي قَبـولِ العَمَـلِ * والـنَّـفْـعَ مِنْها ثُـمّ غَـفْـرَ الـزَّلَـلِ | ٨

(ثم) أي: وأرجوه **(غَفْرَ)** بفتح الغين المعجمة، وتسكين الفاء، أي: ستر **(الزَّلَلِ)** جمع زلة، وهى المعاصي، وسترها إما محوها من الصّحف، أو بعدم المؤاخذة بها، وذلك مقتضى سعة كرم ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

[أقسام الحكم العقلي]

٩ أَقْسَامُ حُكْمِ العَقْلِ لا مَحَالَهْ * هِي: الوُجُوبُ، ثُمّ الاسْتِحَالَهْ

١٠ ثُمَّ الْجَوازُ، ثَالِثُ الأَقْسَامِ * فافْهَمْ مُنِحْتَ لَذَّةَ الأَفْهَامِ

(أقسام حكم العقل[1]) ثلاثة، فهو خبر محذوف لـ «أقسام»، يدل عليه ما يأتي، (لا مَحالة) بفتح الميم، أي: لا حيلة ولا انفكاك من كونها ثلاثة: الوجوب، والاستحالة، والجواز، لا أقل، ولا أكثر، كما قال:

تعريف أقسام الحكم العقلي

(هي: الوجوب) وهو عدم قبول الانتفاء، (ثم الاستحالة) بالدرج، وحذف الهمزة للوزن، وهو عدم قبول الثبوت، (ثم الجواز) وهو (ثالث الأقسام) وهو قبول الثبوت والانتفاء.

(فَافهم) هذه الأقسام الثلاثة حَقّ معرفتها، فإن على معرفتها مدار الإيمان بالله تعالى، ورسله عليهم الصلاة والسلام، وليس الخطاب مرادًا به مُعَيّنًا، بل هو موجّه لكُلّ من يتَأتّى منه الفهم، والمدار والمعوّل عليه هو الفهم حقًّا، وهو الفهم عن الله عَزَّوَجَلَّ، نسأل الله تعالى أن يرزقنا ذلك بمَنّه وكرمه، ولذا قال الناظم رحمه الله تعالى: (مُنحت) بالبناء للمفعول، أي: أعطيت (لَذّة) أي: حلاوة (الأفهام) بفتح الهمزة، جمع لفهم، أما بالكسرة فهو التفهم، وليس هنا بمراد.

(١) **العقل:** سر رُوحَاني، تُدرِكُ به النفس العلوم الضرورية والنظرية، ومحله القلب، ونوره في الدِّماغ، وابتداؤه من حين نفخ الروح في الجنين، وأول كماله عند البلوغ. انظر «شرح الخريدة» (ص١٤٤).

| ١٠ | ثُـمَّ الْـجَـوازُ، ثَـالِـثُ الأقْـسَـامِ ❊ فـافْـهَـمْ مُـنِـحْـتَ لَـذَّةَ الأَفْـهَـامِ |

فمن تَذَوَّق العلم الشريف وأُعطي حلاوة العلوم والمعارف، فقد أُعطيَ خير الدنيا والآخرة، وهذا إنما يكون عن: تلقي العلم من أهله العارفين به، والقيام بحفظه والإخلاص في طلبه، فإن عَمِل بما عَلِم وَرَّثه اللَّه عِلْمٌ ما لم يكن يعلمه، والإخلاص هو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده.

فائــدة

قال إمام الحرمين وجماعة: إن معرفة هذه الأقسام الثلاثة هي نفس الحكم العقلي، فمن لم يعرفها فليس بعاقل، والمراد بالمعرفة ولو إجمالًا، كما في «حاشية» السيد محمد السِّباعي[١].

يقول العبد الفقير عفا اللَّه عنه: فينبغي الاعتناء بهذه الأقسام، والقول بأن معرفتها هي العقل بناء على أنه العلم بوجوب الواجبات، وجواز الجائزات، واستحالة المستحيلات.

(١) (ص٥٤).

[مبحث معرفة الله]

١١ | وواجِبٌ شَرْعًا على الْمُكَلَّفِ * مَعرِفَةُ اللَّهِ العَلِيِّ فاعْرِفِ

شرح الشيخ حسن محمد المشاط المكي المالكي

حكم معرفة الله

(وواجبٌ شرعًا) أي: بالشرع لا بالعقل[1]، **(على المكلَّف)** من الثَّقلين: الإنس والجن[2]، والمكلّف: هو البالغ، العاقل، الذي بلغته دعوة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما مَن لم تبلغه الدعوة فليس مكلفًا، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[3]، فأهل الفترة ناجون، أمَّا ما ورد في تأديب بعضهم فإنها أخبار آحاد لا تعارض القطعي، أو إن ذلك لحكمة يعلمها الله عَزَّوَجَلَّ.

(معرفةُ الله العلي) خبر عن الواجب، أو مبتدأ مؤخر عن الخبر الذي هو قوله: «وواجب...» إلى آخره.

تعريف المعرفة وشرح التعريف

والمعرفة والعلم بمعنى واحد، وهو الإدراك الجازم المطابق للواقع لموجِب، بكسر الجيم، أي: لمقتضٍ.

فشمل التعريف: الإدراك الضروري، والنظري، وخرج بقيد الجازم: الإدراك غير الجازم، وهو الظن، وبالمطابق: الاعتقاد الفاسد، كاعتقاد

---

(١) **الواجب الشرعي**: هو المثاب على فعله، والمعاقب على تركه، والواجب العقلي: هو ما لا يتصور في العقل عدمه، واستفادة الوجوب الشرعي من قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

(٢) سُمّوا بذلك: لثقلهم بإلزام ما فيه كُلْفة، وقيل: لِثِقَلِ الأرض بهم، وخرج بهم: الملائكة فليسوا مكلّفين بمعرفة الله، لأنها لازمة لهم.

(٣) سورة الإسراء، الآية (١٥).

١١	وواجِبٌ شَرْعًا على الْمُكَلَّفِ * مَعرِفَةُ اللّهِ العَلِيِّ فاعْرِفِ
١٢	أَيْ: يَعرِفُ الواجِبَ والْمُحَالا * مَعْ جَائِزٍ فِي حَقِّهِ تَعالى

شرح الشيخ حسن محمد المشاط المكي المالكي

الفلسفي قِدَم العالم، وبقوله: «لموجِب» خرج الاعتقاد الصّحيح، كاعتقاد سُنّية صلاة العيدين[1]، فإن هذه المخرجات لا يقال لها: علم، (فاعرف) أنها واجبة بالشرع.

البحث عن معرفة حقيقة الذات الإلهية

واعلم أنَّ معرفة حقيقة الذات الإلهية العليّة لا سبيل إلى حصولها، لعدم إمكان ذلك، فإنّ الحادث يقصر بالطبع عن عظيم هذا المقام، ولذلك لما سُئل الصِّدّيق الأكبر سيدنا أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَ عرفت ربك؟ قال: «عرفت ربي بربي، ولولا ربي ما عرفت ربي»، فقيل له: هل يأتي لبشر أن يدركه؟ فقال: «العجز عن الإدراك إدراك»[2].اهـ.

وهذه المعرفة أول واجب على المكلّف، إذ جميع الواجبات متوقفة عليها، فمعرفة اللّه هنا عبارة عن معرفة ما يجب في حقه تعالى، وما يستحيل، وما يجوز، وهذا الذي نُكَلّف به، أمّا غيره فلا نُكلّف به.

الأمور الواجب على المكلف معرفتها

ولذلك قال الناظم رحمه اللّه تعالى: (أي يعرفَ) أي: معرفة اللّه؛ أن يعرفَ المكلفُ:

---

(١) وأما اعتقاد مشروعيتها وطلبها، فهو علم ضروري، لأنه مستفاد من الخبر المتواتر.

(٢) وهو ما حثنا عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال: «**لا يَزالُ النَّاسُ يتَسَاءَلُون حتى يقال: هذا خَلَقَ اللّهُ الخَلقَ، فمَنْ خلق اللّهَ؟ فمن وجدَ من ذلك شيئًا، فليقُل: آمنتُ باللّه**»، رواه مسلم في «صحيحه» (ح١٣٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٢ أَيْ: يَعرِفُ الواجِبَ والْمُحَالا * مَعْ جَائِزٍ فِي حَقِّهِ تَعالى
١٣ ومِثْلُ ذَا فِي حَقِّ رُسْلِ اللَّهِ * عَلَيهِمِ تَحِيَّةُ الإلَهِ

* **(الواجب)** في حقه تعالى، وهو الثابت له تعالى الذي لا يقبل الانتفاء[1].
* **(والمحالا)** أي: المستحيل في حقه تعالى، وهو ما لا يقبل الثبوت، والألف فيه للإطلاق[2].
* **(مع)** معرفة **(جائزٍ في حقه تعالى)** وهو ما يقبل الثبوت والانتفاء.
* **(ومثل ذا)** أي: معرفة مثل ذا، أي: المذكور من الواجب وما عطف عليه، **(في حق رُسْلِ اللَّه)** بإسكان السين عند تميم عملًا بقاعدة قوله:

وكُلُّ فُعْلٍ بسكون العين * كاليُسْر والعُسْر ونحو أُذْن
فَضَمُّ عَيْنِهِ يُرى اتْبَاعَا * لِفَائِه عَنْ أَسَدٍ قَد شَاعَا
وفُعُلٌ كعُنُقٍ وطُنُبِ * تَسْكِينُهُ إلى تَمِيم انْسُبِ

(عليهمُ) بتحريك الميم بالضم، أو الكسر للوزن **(تحيَّةُ الإله)** تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

***

ثم شرع الناظم رحمه اللَّه تعالى في تعريف الواجب العقلي،

(١) **الانتفاء:** هو العدم والزوال، فالواجب حينئذٍ هو: الأمر الثابت الذي لا يقبل الزوال.

(٢) أي: إطلاق الصوت بالقافية.

فَالوَاجِبُ العقليُّ: مَا لَم يَقبَلِ * الانْتِفَا فِي ذاتِه فَابْتَهِلِ	١٤
والمُسْتَحِيلُ: كُلُّ مَا لَم يَقْبَلِ * فِي ذَاتِهِ الثُّبُوتَ ضِدُّ الأَوَّلِ	١٥

والمستحيل، والجائز التي تجب معرفتها فقال:

تعريف الواجب العقلي

(فالواجب العقلي) من ذات، أو صفة، أو نِسبة، كذات اللَّه تعالى، وكوجوده، وقِدَمِه، وكثبوت القدرة للَّه تعالى في قولنا: «اللَّه قادر»، هو **(ما)** أي: الأمر الثابت الذي **(لم يقبل الانتفا)** بالقصر للضرورة، أي: لا يقبل الزوال **(في ذاته)**، بقطع النظر عن علم اللَّه تعالى وقدرته، وهذا التعريف يشمل صفات السلوب، وهي القِدم، والبقاء، والمخالفة،... إلى آخره.

ويشمل: صفات المعاني، كالقدرة، والصفات المعنوية، ككونه تعالى قادرًا، والصفة النفسية، وهو الوجود، فلذلك كان هذا التعريف للواجب جامعًا لأفراده كلها، لشموله لصفات المعاني والمعنوية والسّلبية، مانع من دخول الغير كالمستحيل[1].

(فابتهلِ) بكسر اللام، أي: تضرع للَّه تعالى ليعطيك، ويصل بك إلى معرفة ما ينفعك، فإنك بهذا الخُلُقِ الشريف، وهو التضرع إلى اللَّه تعالى، والخضوع بين يديه، تصل إلى المقامات، وتفيض عليك من اللَّه تعالى الفيوضات، أَهَّلنا اللَّه تعالى لذلك.

تعريف المستحيل العقلي

(والمستحيل) أي: تعريفه، هو **(كل ما)** أي: أمر من ذات، أو صفة،

---

(١) والواجب العقلي على قسمين: **ضروري**: وهو ما لا يتوقف على نظر واستدلال، كالتَّحَيُّز للجِرْم، أي: أخذه قدر ذاته من الفراغ. **ونظري**: وهو ما توقف على ما ذُكِر، كالقِدَم للَّه تعالى، فكل منهما لا يقبل الانتفاء لذاته.

١٥ | والْمُسْتَحِيلُ: كُلُّ مَا لَمْ يَقْبَلِ * فِي ذَاتِهِ الثُّبُوتَ ضِدُّ الأَوَّلِ
١٦ | وكُلُّ أَمْرٍ قَابِلٍ لِلانْتِفَا * ولِلثُّبُوتِ جَائِزٌ بِلا خَفَا

شرح الشيخ حسن محمد المشاط المكي المالكي

أو نسبة، أمر منتف **(لم يقبلِ)** بكسر اللام **(في ذاته)** أي: بالنظر لذاته، بقطع النظر عن تعلّق علم اللّه بعدم وجوده، كإيمان أبي جهل، ومفعول «لم يقبل» **(الثبوت)** فهو **(ضد الأول)** أي: الواجب، أي: مخالف له[1].

لما علمت أن الواجب: هو الثابت الذي لا يقبل الانتفاء، والمستحيل: هو المنتفي الذي لا يقبل الثبوت، والمستحيل كالشريك للّه تعالى، فإن ذلك مستحيل على اللّه تعالى[2].

(وكل أمر قابل) في حد ذاته **(للانتفا)**ء **(وللثبوت)** فهو **(جائز بلا خفا)**ء، أمّا بالنسبة لتعلق علم الله تعالى بوجوده، أو امتناعه، فهو واجب أو مستحيل.

تعريف الجائز العقلي

مثال الجائز: خصوص الحركة والسكون للجِرْمِ، وإثابة العاصي وتعذيب المطيع، فإن ذلك جائز بالنظر لذاته، وللّه تعالى أن يفعل ما يشاء ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[3]، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[4].

---

(١) وهو قسمان أيضًا: ضروري، كخلو الجِرْم عن الحركة والسكون معًا. ونظري، كالشريك للّه تعالى.

(٢) هو أيضًا قسمان: ضروري، كخصوص الحركة أو السكون للجِرْم. ونظري، كإثابة العاصي، وتعذيب المطيع، ومنه: الشِّبع عند الأكل، والإحراق عند مماسة النار، من كل حكم عادي فإنه جائز عقلي.

(٣) سورة هود، الآية (١٠٧).

(٤) سورة الأنبياء، الآية (٢٣).

وكُلُّ أَمْرٍ قَابِلٍ لِلانْتِفَا * ولِلثُّبُوتِ جَائِزٌ بِلا خَفَا | ١٦

فائدة

يصح أن يُمثّل بالحركة والسكون للجِرم، لأقسام الحكم العقلي المذكورة، فثبوت الحركة أو السكون للجِرم لا بعينه واجب، ونفيهما معًا مستحيل، وثبوت أحدهما للجرم بالخصوص جائز.

[الطريق الموصل إلى معرفة الله تعالى]

١٧ | ثُمَّ اعْلَمَنْ بِأَنَّ هذا العَالَمَا * أَيْ مَا سِوى اللَّهِ العَلِيِّ العَالِمَا

١٨ | مِن غَيْرِ شَكٍّ حَادِثٌ مُفْتَقِرُ * لأَنَّهُ قَامَ بِهِ التَّغَيُّرُ

شرح الشيخ حسن محمد المشاط المكي المالكي

ولما فرغ الناظم رحمه اللّٰه تعالى من بيان أقسام الحكم العقلي، ووجوب معرفة اللّٰه تعالى على كل مكلف، أخذ في بيان الطريق الموصل إلى معرفة اللّٰه تعالى، وهو حدوث هذا العالم فقال:

حدوث العالم دليل على معرفة اللّٰه تعالى

فقال: **(ثم)** لما عرفت ما يجب عليك أيها المكلَّف شرعًا من حق اللّٰه، وما يجوز، وما يستحيل، فـ **(اعلمن)** بنون التوكيد الخفيفة، للحث والتنبيه، **(بأن هذا العالما)** المشاهد بجميع أجزائه، والألف فيه لإطلاق القافية.

وفسَّر العالم بقوله: **(أي: ما سوى اللّٰه)** تعالى **(العليّ العالِما)** بكسر اللام، ونصبه على القطع للمدح، من جوهر: وهو ما قام بنفسه، أو عرض: وهو ما قام بغيره من الجواهر، كالألوان.

(من غير شك[1]) يتعلّق بقوله: **(حادث)** الواقع خبرًا عن «أن هذا العالما» أي: موجود بعد عدم، يعني: أن حدوثَ هذا العالم ثابت بغير شك، لما يشاهده من التغيرات، ولأنه محتاج إلى موجد يوجده من العدم إلى حيّز الوجود، وليس إلا اللّٰه تعالى، وإليه أشار بقوله: **(مفتقر)** وهو خبر بعد خبر، وإن كان لازمًا للأول، وكلام الناظم رحمه اللّٰه تعالى

(١) **حقيقة الشك:** التردد في الطرفين على السواء، ومراده به هنا: مطلق التردد، الشامل للظن: وهو الطرف الراجح، والوَهْم: وهو المرجوح.

١٨ | مِـن غَيْـرِ شَـكٍّ حَـادِثٌ مُفْتَقِرُ * لأنَّـــهُ قَـامَ بِـــهِ التَّـغَـيُّـرُ
١٩ | حُـدُوثُـهُ وُجُـودُه بَـعْـدَ الـعَـدَمْ * وضِـدُّهُ هـو الْمُسَـمَّى بالقِـدَمْ

يشير إلى نظم قياس من الشكل الأول، الذي هو بديهي الإنتاج هكذا:

العالم حادث، [وكل حادث] فهو مفتقر إلى محدث، ينتج بعد حذف الحد الأوسط المكرر: العالم مفتقر إلى محدث.

دليل حدوث العالم

أما دليل كون العالم حادث، فأشار له بقوله: **(لأنه قام به)** أي: بالعالم **(التغيّر)** من عدم إلى وجود، ومن وجود إلى عدم، إما بالمشاهدة، كالحركة بعد السكون، والضوء بعد الظلمة، والعكس.

وإما بالدليل، لأن ما شُوهد سكونه مثلًا على الدوام، كالجبال، أو حركته على الدوام، كالكواكب، جاز أن يثبت له العكس، إذ لا فرق بين جِرم وجِرم في قبول الحركة والسكون، وما جاز على أحد المتماثلين جاز على الآخر.

إن بعضَ التَّغيرات في الجبال، والكواكب، من علامات الحدوث يدل على ما سواه، وإذا جاز عدمها استحال قدمها، فتكون حادثة، فجميع الأعراض حادثة، ويلزم من حدوثها حدوث جميع الأجرام لعدم انفكاكها عن الأعراض الحادثة، وكل ما لا ينفك عن الحادث فهو حادث، فظهر أن جميع ما سوى اللّٰه تعالى المعبر عنه بالعالم من أعراضه وأجرامه حادث، أي: موجود بعد أن لم يكن.

١٩- (حدوثه) أي: العالم **(وجوده)** أي: عبارة عن وجوده **(بعد العدم وضده)** أي: الحدوث، **(هو المسمى بالقدم)** وهو خاص باللّٰه تعالى، فهو القديم، ولا قديم سواه.

[مبحث الإلهيات]

٢٠ | فاعْلَمْ بأَنَّ الوَصْفَ بالوُجُودِ * مِنْ وَاجِبَاتِ الوَاحِدِ الْمَعْبودِ

صفة الوجود

(فـ) إذا علمت ما يجب على كلِّ مكلَّف من معرفة الواجب للَّه، والمستحيل عليه، والجائز له، وعلمت الطريق الموصل إلى المعرفة فـ (اعلم بأن الوصف) أي: اتصاف اللَّه تعالى (بـ) صفة (الوجود من) أي: بعض (واجبات) اللَّه (الواحد المعبود) تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإن الواجبات للَّه تعالى كثيرة لا تنحصر، لأن صفاته الكمالية لا تتناهى، قال الناظم في «شرحه»[1] عقب ما ذكر: «إلا أنه لا يجب علينا تفصيل ما لم يقم عليه الدليل بالخصوص، بل الواجب أن نعتقد أن كمالاته تعالى لا تتناهى على الإجمال.

وأما ما قام عليه الدليل بخصوصه فيجب اعتقاده تفصيلًا، وهي ثلاثة عشر صفة وأضدادها».

ومعنى كون وجوده واجبًا: أنه لا يقبل الانتفاء أزلًا وأبدًا، أي: لا يمكن عدمه.

فائـدة

إثبات الوجود للَّه تعالى وإن كان يستلزم ثبوت القدم والبقاء له، فإن ذلك لا يكفي ولا يغني عن ذكرهما فيما يأتي، لأن علماء هذا الفن لا يكتفون بدلالة الالتزام.

(١) (ص١٧٧).

إِذْ ظَاهِرٌ بِأَنَّ كُلَّ أَثَرِ * يَهْدِي إِلَى مُؤَثِّرٍ فَاعْتَبِرِ | ٢١

الدليل على وجود الله

ثم ذكر البرهان العقلي على وجوده تعالى بوجود صفته جَلَّ وَعَلَا فقال: (**إذ ظاهر بأن كل أثر**) أي: صنعة (**يهدي**) بفتح الياء، يدل (**إلى مؤثر**) أي: على صانعه، إذ لا تُعقل صنعة بدون صانع.

وإذا علمت أن كل صنعة تدل على وجود صانعها (**فاعتبر**) وتأمل في ملكوت السموات والأرض، ودقائق الحكم، سبحانك ما خلقت هذا باطلًا، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]، فتعلم بذلك أن الله تعالى هو الواجب الوجود، المالك المعبود، فتهتدي بذلك إلى ما خلقت لأجله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2].

قال الناظم في «شرحه»[3]: «ثم تترقى إلى وفور حُبّه وشكره، فيترتب على ذلك تفجير ينابيع الحكمة من قلبك، وتقعد في مقعد صدق عند ربك». اهـ.

ولنذكر لك شيئًا من ذلك ليكمل لك الاعتبار، وتقيس عليه غيره حسبما أمر الناظم رحمه الله تعالى، وننقل لك كلام سيدي أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم السَّكَنْدَري في «التنوير في إسقاط التدبير»[4] لمناسبته لما قال رحمه الله تعالى:

---

(١) سورة الدخان، الآيتان (٣٨، ٣٩).

(٢) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

(٣) (ص١٧٩). (٤) (ص٣٣).

٢١ | إِذْ ظَـاهِـرٌ بِـأَنَّ كُـلَّ أَثَـرِ * يَـهْـدِي إِلَـى مُـؤَثِّـرٍ فَـاعْـتَـبِـرِ

شرح الشيخ حسن محمد المشاط المكي المالكي

«إن الله عَزَّوَجَلَّ جعلك أيها الإنسان نطفة مستودعة في الأصلاب وتولاك بتدبيره هنالك، حافظًا لك وحافظًا لما أنت فيه، موصلًا لك المدد بواسطة من أنت فيه من الآباء إلى أبيك آدم، ثم قذفك في رحم الأم، فتولاك بحسن تدبيره حينئذٍ، وجعل الرحم قابلة لك أرضًا يكون فيها نباتك، ومستودعًا تعطى فيها حياتك، ثم جمع بين النطفتين وألّف بينهما، فكنت عنهما، لما بُنِيت عليه الحكمة الإلهية من أن الوجود كله مبني على سر الازدواج، ثم جعلك بعد النطفة مضغة.

ثم فتق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في المضغة صورتك، وأقام بِنْيَتَكَ، ثم نفخ فيك الروح بعد ذلك، ثم غذّاك دم الحيض في رحم الأم، وأجرى عليك رزقه من قبل أن يُخرجك إلى الوجود، ثم أبقاك في رحم الأم حتى قويت أعضاءك، واشتدت أركانك، ليهيئك إلى البروز إلى ما قسم لك أو عليك، وليبرزك إلى دار يتعرف فيها بفضله وعدله إليك.

ثم لما أنزلك إلى الأرض عِلم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أنك لا تستطيع خشونات المطاعم، وليس لك أسنان، ولا أرجاء تستعين بها على ما أنت طاعم، فأجرى الثديين بالغذاء اللطيف، ووكل بها مستحث الرحمة في قلب الأم، كلما وقف اللبن عن البروز استحثته الرحمة التي جعلها لك في الأم، مستحثًا لا يفتر، ومستنهضًا لا يقصر.

ثم إنه شغل الأب والأم بتحصيل مصالحك، والرأفة عليك، والنظر بعين المودة منهما إليك، وما هي إلا رأفة ساقها إليك، وإلى

٢١| إِذْ ظَاهِرٌ بِأَنَّ كُلَّ أَثَرِ * يَهْدِي إِلَى مُؤَثِّرٍ فَاعْتَبِرِ

العباد في مظاهر الآباء والأمهات تعريفًا بالوداد، وفي حقيقة الأمر ما كَفَلَك إلا ربوبيته، وما حضنك إلا إلهيته، ثم ألزم الأب القيام بك إلى حين البلوغ، وأوجب عليه ذلك رأفة منه بك، ثم رفع قلم التكليف عنك إلى أوان تَكَمّل الإفهام، وذلك عند الاحتلام، ثم إلى أن صرت كهلًا لم يقطع عنك نوالًا ولا فضلًا، ثم إذا انتهيت إلى الشيخوخة، ثم إذا قدمت عليه، ثم إذا حشرت إليه، ثم إذا أقامك بين يديه، ثم إذا سلَّمك من عقابه، ثم إذا أدخلك دار ثوابه، ثم إذا كشف عنك وجود حجابه، وأجلسك مجلس أوليائه وأحبابه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾[1].

فلأي إحسانه تشكر، ولأي آلائه تذكر، واستمع قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[2]، تعلم أنك لم تخرج ولن تخرج عن إحسانه، ولن يعدوك وجود فضله وامتنانه، وإن أردت البيان في تقلبات أطوارك فاستمع ما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ۝١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾[3]، تبدو لك بوارقها، وتبسط عليك شوارقها، وفي

(١) سورة القمر، الآيتان (٥٤، ٥٥). (٢) سورة النحل، الآية (٥٣).

(٣) سورة المؤمنون، الآيات (١٢: ١٦).

٢٢ وذي تُسَمَّى صِفةً نَفسِيَّةْ * ثُمَّ تَليهَا خَمْسَةٌ سَلْبِيَّةْ
٢٣ وَهْيَ القِدَمْ بِالذَّاتِ فَاعْلَمْ والبَقَا * قِيامُهُ بِنَفْسِهِ، نِلْتَ التُّقَى

ذلك ما يلزمك أيها العبد من الاستسلام والتوكل عليه، والله الموفق».

الصفة النفسية

(وذي) أي: وهذه الصفة، وهي صفة الوجود، **(تسمى: صفة نفسية)** منسوبة إلى النفس، أي: الذات، ومعناها: الصفة التي لا تُعقَلُ الذات بدونها.

وتُعَرَّف بأنها: صفة ثبوتية، يدل الوصف بها على نفس الذات، أي: لا على معنى زائد على الذات.

وخرج: صفات المعاني، نحو القدرة، والمعنوية، فإن الوصف بهما يدل على معنى زائد على الذات، ولا يدل الوصف على نفس الذات.

الصفات السلبية

(ثم تليها) في الذكر صفات **(خمسة سلبية)**، لأن مدلول كلّ واحدٍ من الخمسة سلب ونفي ما لا يليق بالذات العليّة، كما سيأتي.

(وهي) أي: السلبية **(القدم بالذات)** أي: إن الله تعالى قديم لذاته، أي: لا لِعِلّة اقتضت وجوده، تعالى عن ذلك، ومعنى القدم: سلب الأولية، وأن الله تعالى لا أولية لوجوده، **(فاعلم)** ذلك، ولا تقل بالقدم؛ القدم المقابَل بالغير[1].

---

(١) وهو قول الفلاسفة، فإنهم قالوا: إن العالم قديم، وقدمه بالغير، ومرادهم بالغير: وجوده تعالى، فطابقونا على أن القدم الذاتي لا يكون إلا لله تعالى، وخالفونا في قولهم بقدم العالم، ويسمونه: قدمًا بالغير، ونحن نقول بحدوثه.

والدليل على قدمه تعالى: أنه لو لم يكن قديمًا لكان حادثًا ـ تعالى الله عن=

وَهْيَ القِدَمْ بِالذَّاتِ فَاعْلَمْ والبَقَا * قِيامُـهُ بنَفْسِـه، نِلْـتَ التُّقَـى ٢٣

مُخَالِـفٌ للغَيْــرِ، وَحْدَانِيَّــةْ فِـي الـذَّاتِ، أَوْ صِفَاتِـهِ العَلِيَّةْ، ٢٤

(و) ثاني الصفات السلبية: (البقا)ء وهو سلب الآخرية، أي: أنه تعالى لا آخر لوجوده، لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه[1].

وثالث الصفات السلبية: (قيامه) تعالى (بنفسه) بمعنى: أنه تعالى لا يحتاج إلى محل، ولا إلى مخصص، أي: فاعل، وقد أشار بعضهم إلى ذلك وإلى دليله فقال:

فَإِنْ يَقُولُوا هَلْ لربنا مَكَان * فَاللَّـهُ قَبْلَ خَلْقِـهِ المَكَان كَان

لَو كَانَ ربُنا القَدِيم فِي مَكَان * لكَان مُحتَاجًا إلى ذَاكَ المَكَان

ثُـمّ إِذَا احتاجَ لَـهُ قَدْ افتَقَر * لِحَـادِثٍ وهـوَ قَدِيم اسـتَقَر

ثم دعا الناظم رحمه اللّٰه تعالى للقارئ بقوله: (نلت التقى)، وهي من التقوى: امتثال المأمورات، واجتناب المنهيات، وهي المرتبة الوسطى المشار إليها بقوله:

خَـلِّ الـذُّنُـوبَ صَغِيرَهـا * وكَـبِـيـرَهـا فَـهـو الـتُّـقَـى

واصْـنَـع كَـمَـاشٍ فَـوقَ أَرْ * ضِ الشَّـوكِ يَحـذَرُ مـا يَرى

لَا تَحْـقِـرَنّ صَـغِـيـرَةً * إِنّ الجِبَـالَ مِـن الحَصَـى

ثم أشار إلى رابع الصفات السلبية بقوله: (مُخالفٌ للغير) معطوف على

= ذلك ـ، فيلزم إفتقاره إلى محدث، ثم محدثه كذلك لانعقاد التماثل بينهما، وهو مفض إلى الدور أو التسلسل، وكلاهما محال، فما أديا إليه وهو الحدوث محال.

(١) والدليل على بقائه تعالى: أن ما ثبت قِدَمُهُ استحال عدمه، وإلا لجاز عليه العدم فيحتاج إلى مُرَجِّح، فيكون حادثًا لا قديمًا، كيف وقد ثَبَتَ قِدمه.

٢٤ | تَخَالُفٌ للغَيْـــرِ، وَحْــدَانِيَّةْ * فِي الـذَّاتِ، أَوْ صِفَاتِهِ العَلِيَّةْ،

٢٥ | والفِعْــلِ، فَالتَّأْثِيــرُ لَيْسَ إِلَّا * لِـلـوَاحِـدِ الـقَـهَّـارِ جَـلَّ وعَـلا

القِدم، أي: ومخالفته تعالى لغيره من الحوادث، فليس هو تعالى بجسم، ولا عرض، ولا متحرك، ولا ساكن، إلى غير ذلك من صفات الحوادث.

والمعنى أنه يجب للَّه تعالى مخالفته للحوادث في الذات والصفات والأفعال، ويجب على المكلف اعتقاد مخالفته للحوادث، لأنه لو كان مماثلًا لها لوجب له تعالى ما وجب لها من الحدوث والافتقار، وذلك محال[1].

وخامس الصفات السلبية: **(وحدانية)** وهي عبارة عن سلب الكثرة في الذات والصفات والأفعال، كما قال: **(في الذات)** أي: في ذاته تعالى اتصالًا وانفصالًا، أي: عدم الاثنينية في ذاته.

(أو) أي: ووحدانيته في **(صفاته)** تعالى **(العلية)** اتصالًا وانفصالًا أيضًا.

(والفعل) أي: وحدانيته تعالى في الفعل، أي: أنه متصف بوحدانية الأفعال، فليس ثَمَّ من له فعل من الأفعال سواه تعالى، قال اللَّه تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[2].

---

(١) **والدليل على مخالفته تعالى للغير:** أنه لو كان مُمَاثِلًا لها لوجب له تعالى ما وجب لها من الحدوث والافتقار، وذلك محال.

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٢٢)، والآية تشير إلى برهان التمانع، وحاصله: أنه لو أمكن التعدد، لأمكن التمانع بينهما، بأن يريد أحدهما حركةَ زيدٍ مثلًا، والآخرُ=

والفِعْلِ، فَالتَّأْثِيرُ لَيْسَ إِلَّا * لِلوَاحِدِ القَهَّارِ جَلَّ وعَلا | ٢٥

فائـدة

قال العلامة سيدي أحمد الصاوي: «هذه الصفة[1] أهم الصفات، ولذا سمي علم التوحيد بها، ولم يكفر بضدها إلا بعض الإنس، وأما الجن برمتهم فلا يعتقدون الشرك للَّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وإنما الكافر منهم كافر بغير الشرك»[2].

المؤثر الحقيقي هو اللّه تعالى

(فالتأثير) أي: الاختراع والإيجاد للأشياء، أي: فإذا علمت أنه يجب للَّه تعالى الوحدانية، فاعلم أن التأثير للأشياء **(ليس)** أي: لا يصلح لأحد **(إلا)** للَّه **(الواحد القهار)** وحده **(جل وعلا)**، فلا تأثير لقدرتنا في شيء من أفعالنا الاختيارية، كالحركات والسكنات، والقيام والقعود، بل ذلك كله مخلوق للَّه تعالى، ونسبة العمل إلينا ومخاطبتنا من قبل الشارع بتحصيله، كقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا

= سُكُونَهُ، إذ كل منهما أمر ممكن في نفسه، وكذا تعلق الإرادة بكل منهما، وحينئذٍ إما أن يحصل الأمران، فيلزم اجتماع الضدين، أو لا، فيلزم عجزهما، أو عجز أحدهما، وهو أمارة الحدوث والإمكان، لما فيه من شائبة الاحتياج، فالتعدد مستلزم لإمكان التمانع، المستلزم للمحال، فيكون التعدد محالًا.

(١) في المطبوعة «الصفات»، والتصويب من «حاشية الصاوي على شرح الخريدة» (ص٣٧).

(٢) «حاشية الصاوي على شرح الخريدة» (ص٣٧)، وانظر أيضًا «شرح الجوهرة» للصاوي (ص١٥٦).

(٣) سورة التوبة، الآية (١٠٥).

٢٦ | ومَـنْ يَقُـلْ بالطَّبْـعِ أو بِالعِلَّـةْ * فَـذاكَ كُفْـرٌ عِنْـدَ أَهْـلِ الْمِلَّـةْ

كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١)، فذلك من حيث الكسب والاكتساب، لا من حيث الإيجاد والاختراع.

فلا تأثير للأمور العادية، فالنار لا تحرق بطبعها، وكذلك الطعام في الشبع، والماء في الرّي وفي إنبات الزرع، والكواكبُ في إنضاج الفواكه وغيرها، وكذا السكين في القطع، كل ذلك لا تأثير له لا بالطبع، ولا بالعلة، ولا بقوة أودعها اللَّه فيها، بل التأثير في ذلك كله للَّه تعالى وحده، بمحض اختياره عند وجود هذه الأشياء، ﴿ قُلْنَا يَنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَمًا ﴾(٢).

حكم القائلين بأن الأشياء تؤثر بطبعها أو بعلة فيها

(ومن يقل) من أهل الضلال **(بالطبع)** أي: بتأثير الطبيعة، بأن يقول ويعتقد أن الأشياء المذكورة تُؤثر بطبعها، **(أو)** يقل **(بالعلة)** أي: أنها في وجود شيء من غير أن يكون له تعالى فيه اختيار، **(فذاك)** أي: القول **(كفر)**، ويلزم كفر قائله، لأنه أثبتَ له تعالى شريكًا، **(عند أهل الملة)** أي: ملة الإسلام.

قال الراغب: «الملة: اسم لما شرعه اللَّه تعالى لعباده على لسان أنبيائه، ليتوصلوا به إلى جواره، والفرق بينها وبين الدين: أن الملة لا تضاف إلا للنبي الذي تستند إليه، ولا تكاد توجد مضافة إلى اللَّه تعالى، ولا لآحاد الأمة، ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها»(٣).

(١) سورة الزخرف، الآية (٧٢). (٢) سورة الأنبياء، الآية (٦٩).
(٣) «مفردات غريب القرآن» (ص٧٧٤).

ومَنْ يَقُلْ بالقُوَّةِ المُودَعَةِ * فَذاكَ بِدْعِيٌّ فلا تَلْتَفِتِ | ٢٧

وكلام صاحب «القاموس» يشير إلى ترادف الملة والشريعة والدين حيث قال: «والملة بالكسر: الشريعة أو الدين...»[١] إلى آخره.

وهي في الحقيقة تختلف بالحيثيات، فمن حيث إن الأحكام الشرعية تُملى لتنقل فهي ملة، ومن حيث إنها يُتَدَيّن بها، أي: يُتعبد بها، فهي دين، ومن حيث إنها شُرعت، أي: بيَّنَها الشارع فهي شريعة.

فائـدة

الفرق بين تأثير الطبع وتأثير العلة

الفرق بين تأثير الطبع، وتأثير العلة بعد العلم باشتراكهما في عدم الاختيار: أن الطبع يتوقف على وجود الشرط، وانتفاء المانع، كالإحراق بالنار فإنه يتوقف على مماسة النار للشيء المحروق، وانتفاء المانع من البلل، ونحوه.

وأما العلة فلا يتوقف تأثيرها على شيء من ذلك، كحركة الخاتم لحركة الإصبع، فكلما وجدت العلة كحركة الإصبع وجد المعلول، وهو حركة الخاتم، ولذا يلزم اقتران العلة بمعلولها دون الطبيعة بمطبوعها، لتخلف شرط أو وجود مانع.

حكم القول بأن الأشياء تؤثر بقوة مودعة فيها

(ومن يقل) من أهل الزَّيْغِ والعِناد: إن هذه الأمور العادية تُؤَثِّر **(بالقوة المودَعة**[٢]**)** بفتح الدال، اسم مفعول، أي: بواسطة القوة التي

---

(١) «القاموس المحيط» (ص١٠٥٨).

(٢) **معنى القول بالتأثير بالقوة عند بعض أئمتنا:** أن اللّٰه تعالى هو المؤثر والفاعل بسبب تلك القوة التي خلقها اللّٰه تعالى في تلك الأشياء، فالتأثير عنده=

٢٧ | ومَـنْ يَـقُـلْ بـالـقُـوَّةِ الْـمُـودَعَـةِ * فَــذاكَ بِــدْعِــيٌّ فـلا تَـلْـتَـفِـتِ

أودعها اللَّه تعالى فيها، **(فذاك)** القائل **(بدعي)** منسوب إلى البدعة التي هي خلاف السنة التي أخذها سلفنا الصالح عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يقال: إنه كفر، لأنهم أثبتوا له تعالى خلق العبد، وخلق قدرته وإرادته، فصار فعل العبد في الحقيقة مخلوقًا له تعالى، **(فلا تلتفت)** لهذا القول، بل أعرض عنه.

خلاصة القول في تأثير الأسباب العادية

وحاصل القول في الأسباب العادية:

* أنه لا تأثير لها فيما قارنها، وإنما جعل اللَّه تعالى الأسباب علامة ودلالة على ما شاء من الحوادث، من غير ملازمة بينها وبين مسبباتها، وهذا هو الواجب اعتقاده، ومعتقده مؤمن حقًّا.
* أما من قال: تؤثر بذاتها من غير جعل من اللَّه تعالى، فهو كافر بالإجماع.
* ومن قال: بقوة خلقها اللَّه فيها، فهو مبتدع.
* ومن قال: إنها تؤثر بإذن اللَّه، وأن بينها وبين ما قارنها ملازمة عقلية، فهو جاهل، يَؤُول اعتقاده ذلك إلى الكفر، فإن ما بالعقل لا يتخلف، ويستلزم هذا القول إنكار المعجزات، وما أخبرت به الأنبياء

= للَّه وحده، وإن كان بواسطة تلك القوة. وأما القَدَرِيَّةُ فينسبون التأثير لتلك الأشياء بواسطة القوة، ففرق بين الاعتقادين، ـ أي: فاعتقاد المعتزلي القَدَرِي: أن التأثير للأشياء بواسطة القوة، والسُّنِّي: أن التأثير للَّه لسبب القوة ـ ومع ذلك فالراجح الأول، وهو أن التأثير له وحده عندها لا بها، وإن جرت العادة بأنه إنما يحصل التأثير عندها.

لَوْ لَم يَكُنْ مُتَّصِفًا بِها لَزِمْ * حُدُوثُهُ وَهْوَ مُحالٌ فاسْتَقِمْ | ٢٨

من خوارق العادات والمغيبات عنا، كأحوال القبر، وأهوال يوم القيامة.

***

دليل الصفات السلبية

ثم أشار الناظم تغمده المولى برحمته إلى برهان السلبية المتقدمة بقوله: **(لو لم يكن)**، أي: إنما وجب اتصافه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالصفات السلبية، لأنه لو لم يكن **(متصفًا بها لزم حدوثه)** تعالى وتنزه عن ذلك، أما القدم فظاهر، إذ لا واسطة بين القدم والحدوث، فحيث انتفى الحُدوث ثبت له القِدم.

وأما البقاء، فلأنه لو لم يكن متصفًا بها لم يكن قديمًا، فإن من ثبت قدمه استحال عدمه.

وأما القيام بالنفس، فلأنه لو قام بغيره لكان عرضًا محتاجًا في قيامه للغير، وهو محال.

وأما المخالفة للحوادث، فلأنه لو ماثل شيئًا منها لكان حادثًا مثلها.

وأما الوحدانية، فلأنه لو كان له نظير ومثيل في ذاته أو صفاته، للزم العجز، وكل عاجز حادث، كما أن كل حادث عاجز، والحدوث عليه محال، كما قال: **(وهو)** أي: الحدوث عليه تعالى **(محال)** لا يقبل الثبوت عقلًا، **(فاستقم)** أي: اطلب من الله تعالى طريق الاستقامة، فإنها خير من ألف كرامة.

وإنما كان الحدوث عليه تعالى محالًا.

٢٩ | لأَنَّـهُ يُفْضِـي إلـى التَّسَلْسُـلِ * والدَّوْرِوهْوَالْمُستَحِيلُ الْمُنْجَلِي
٣٠ | فَهْوَ الجليـلُ والْجَمِيـل والوَلي * والطَّاهرُ القدُّوسُ والرَّبُّ العَلِي

تعريف التسلسل والدور

(لأنه يفضي) من أفضى يفضي، أي: يؤدي ويوصل **(إلى التسلسل)** إذا استمر العدد إلى ما لا نهاية له، لأن التسلسل: هو ترتب أمور غير متناهية، وهو محال.

(والدَّور) أي: يفضي إلى الدَّور -بفتح الدال المشددة- إن لم يستمر، لأن معنى الدَّور: توقف الشيء على ما يتوقف على ذلك الشيء من جهة واحدة، وهو محال كما قال: **(وهو المستحيل المنجلي)**، أي: الواضح الذي لا يحتاج إلى دليل.

أي: وإذا ثبت استحالة الحدوث عليه تعالى ثبت اتصافه تعالى بالصفات المذكورة، التي يفيد مفهومها السلب عما لا يليق بالذات العلية اتصافها به.

فالواجب على كلِّ مكلَّفٍ أن يعتقد اتصاف الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بما يليق به من الصفات العُلى، ونفي أضدادها، والله يهدي إلى الحق ويهدي إلى سواء السبيل.

* * *

بعض أسمائه تعالى

إذا علمت ما ذُكر **(فهو)** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **(الجليل)**: العظيم الشأن الذي خضعت لجلالته رقاب الجبابرة، ولذلك ترى العارفين من هيبته وجلال عظمته خاشعين.

٣٠	فَهْـوُ الجليلُ والْجَمِيـل والوَلي * والطَّاهرُ القدُّوسُ والرَّبُّ العَلِي
٣١	مُـنَـزَّهٌ عـن الْـحُـلُـولِ والجِهَةْ * والاتِّصَـالِ الانْفِصَـالِ والسَّـفَهْ

(والجميل)[1] المتصف بصفات الجمال والكمال، من علم، وحياة، وقدرة، وإرادة، وغيرها، ولذا ترى العارفين من عظيم جماله مولهين وهائمين.

(والولي، والطاهر) المنزه عن كل ما لا يليق به، **(القدوس)** من القُدْس، وهو الطهر، أي: التنزيه العظيم، وهو أبلغ في الطهارة، **(والرب)** المالك حقيقة، ومربي خلقه شيئًا فشيئًا إلى الحد الذي أراده، ولا يطلق على غيره تعالى مُنكّرًا إلا على سبيل التجوز، **(العلي)** أي: المرتفع القدر.

بعض التنزيهات للمولى تعالى

(مُنَزّه) أي: هو مطهر **(عن الحلول)** والسريان في الأشياء، لأنه القديم بالذات كما تقدّم.

(و) منزه عن **(الجهة)** لشيء، لأن الجهة من خواص المادة وأحكامها، والله منزه عن المادة وعلائقها، فيكون الحق عَزَّوَجَلَّ غير مادي، لا يجوز أن يتصف بجهة من الجهات، ولا بشيء من المتقابلات، فإن القابل هو المادة، إلا ترى أن الإنسان لابد له أن يكون عالمًا، أو جاهلًا، ولا يصح ارتفاعهما، لكن الحجر لا يقال له: عالم وجاهل لعدم القابلية، فافهم.

واعلم أنه لا يلزم من عدم الجهة العدم، لأن ذلك في الحوادث،

(١) في المطبوعة «والجليل».

وفي أحكام الماديات، ومشروط بالقابلية، فلا يقال: إنه فوق الجِرم، ولا تحته، ولا يمينه، ولا شماله، ولا خلفه، ولا أمامه.

(و) مُنَزّه عن **(الاتصال)**، و**(الانفصال)**، فلا يقال: إنه متصل بالعالم اتصال الحوادث، ولا منفصل، لأن هذه الأمور من سمات الحادث، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قديم ليس بحادث.

(و) منزه أيضًا **(عن السَّفه)** وهو وضع الشيء في غير محله، كيف وهو المدبر الحكيم العليم، الذي وضع كل شيء في موضعه، والذي أحسن وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

واعلم أن العالم: وهو ما سوى الله تعالى، وإن عَظُم في نفسه فهو في جانب باهر قدرته لا شيء، فكيف يكون العلي الكبير، الغني القدير، حالًا، ومتصلًا، أو منفصلًا في شيء حقير فقير، هو في نفسه عدم.

النصوص الموهمة للتشبيه

أما ما جاء في النصوص الثابتة من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية مما يوهم شيئًا فهو من المتشابه الذي يجب علينا الإيمان به، مع تفويض معناه وحقيقته إلى الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(١)، جعلنا الله من أولي الألباب بمنه وكرمه آمين.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٧)، اقتصر الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الطريق الأسلم، وهو طريق سلفنا الصالح، وبقي طريق الخلف، وهو الأعلم، بتعيين مَحَامِلِ=

ثُـمَّ الْـمَـعَـانـي سَـبْـعَـةٌ للرَّائِي * أي عِلْمُـهُ الْمُحِيـطُ بالأَشْـيَـاءِ| ٣٢

ثم إنّ هذه الأسماء التي ذكرها الناظم من الجليل والجميل والولي من أسماء اللَّه تعالى، البالغ عددها مئة إلا واحد، الوارد فيها الحديث الصحيح من أحصاها دخل الجنة[1]، ذكر منها ما ذكر تفريعًا على ما قدَّمه من صفات السلوب، إذ هي تدل على التنزيه والكمال للَّه تعالى كما علمت.

***

ولما فرغ الناظم من ذلك، شرع في بيات صفات المعاني، وتسمى الصفات الذاتية، لأنها لا تنفك عن الذات، والصفات الوجودية، لأنها متحققة في نفسها فقال:

صفات المعاني

(ثم) صفات (المعاني[2]) التي يجب عليك معرفتها (سبعة

= صحيحة إبطالًا لمذهب الضّالين، وإرشادًا للقاصرين، فحملوا: اليد على القدرة، والوجه على الذات، والاستواء على الاستيلاء، وهذا ذَهَابًا إلى أن الوقف في الآية على ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾.

والحاصل: أنه لا بد من تأويلٍ، أي: حمل اللفظ على غير ظاهره إلا أن الخلف عَيَّنُوا المحامل، فتأويلهم تفصيلي، وتأويل السلف إجمالي.

(١) رواه البخاري (ح٢٧٣٦) ومسلم (ح٢٦٧٧) في «صحيحيهما» من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول اللَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«إن للَّه تسعة وتسعين اسما مئة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة»**.

(٢) ومعناها في اصطلاح المتكلمين: كل صفة قائمة بموصوف، زائدة على الذات، موجبة لها حكمًا.

٣٢ ثُمَّ الْمَعَانِي سَبْعَةٌ لِلرَّائِي * أَيْ عِلْمُهُ الْمُحِيطُ بِالأَشْيَاءِ
٣٣ حَيَاتُهُ وَقُدْرَةٌ إِرَادَهْ وَكُلُّ شَيْءٍ كَائِنٌ أَرَادَهْ

للرائي) والمتأمل، ثم فسّرها بقوله: **(أي علمه)** وهو الأول من السبعة، أي: علم اللَّه تعالى **(المحيط بالأشياء)** كلها، واجبها وجائزها ومستحيلها، وكليها وجزئيها، على سبيل التفصيل.

وعرفوا العلم بأنه: صفة أزلية تنكشف بها الموجودات والمعدومات على ما هي عليه، انكشافًا لا يحتمل النقيض بوجه ما.

والثانية: الحياة، كما قال: **(حياته)** تعالى وهي صفة أزلية توجب صحة العلم والإرادة[1].

والثالثة: القدرة، كما قال: **(وقدرة)**، وهي صفة أزلية يتأتى بها إيجاد الممكن وإعدامه.

والرابعة: **(إرادة)** وهي صفة أزلية تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من وجود أو عدم، ونحو ذلك.

الإرادة والأمر

ثم ذكر الناظم مسألة تتعلق بالإرادة، وهي أن ما من شيء يوجد إلا واللَّه العظيم قد أراده، فقال: **(وكل شيء كائن)** أي: موجود **(أراده)** اللَّه عَزَّوَجَلَّ، أي: أراد وجوده، فلا يقع في مُلْكِه إلا ما يريد.

ولا فرق في ذلك بين ما أمر اللَّه به، كإيمان أبي بكر، وإيمان

---

(١) هذا لا يمكن إلا في القدرة القديمة، وإلا فالقدرة الحادثة إنما شأنها المقارنة للفعل لا الإيجاد والإعدام، فإنهما إنما يكونان للَّه وحده.

٣٤	وإنْ يَكُنْ بِضِدِّهِ قَدْ أَمَرا * فالقَصْدُ غيرُ الأمرِ فاطْرَحِ المِرَا
٣٥	فقَد عَلِمتَ أربَعًا أقْسَامَا * في الكَائِنَاتِ فَاحْفَظِ المَقَامَا

سائر المؤمنين، بل **(وإن يكن بضده)** أي: بضد ذلك الكائن **(قد أمرا)** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ككفر أبي جهل، وكفر بقية الكافرين، فإن اللّه تعالى أراده وقد أمر بضده، وهو الإيمان، فالكل مرادٌ للّه تعالى.

وستعلم أنه لا تلازم بين الإرادة والأمر، كما قال: **(فالقصد)** والإرادة **(غير الأمر)** بالشيء، بل ولا يستلزمه، لأن الإرادة صفة تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه، كما تقدّم لك، والأمر يرجع لكلامه عَزَّوَجَلَّ.

(فاطرح المرا) والنزاع، يشير إلى قول المعتزلة: «إنه قد يقع في ملكه ما لا يريد» بناء على اتحاد الإرادة والأمر، وهو غير صحيح بدليل **«ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن»**[1]، وهو عَزَّوَجَلَّ إذا أراد القبيح، كالكفر، فإنما هو خلقه وإرادته، تعالى اللّه عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

أقسام الكائنات من حيث الإرادة والأمر

(فقد علمت) من قول الناظم رحمه اللّه تعالى وقدّس سره: «وكل شيء كائن...» إلى آخره، **(أربعًا أقسامًا في الكائنات)** منطوقًا ومفهومًا:

الأول: مأمور به ومراد، كإيمان أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) رواه أبو بكر ابن السُّنّي في «عمل اليوم والليلة» من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ح٤٢)، ومن حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ح٥٧)، ومن حديث ابنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ح٤٢)، ومن حديث رجل من أصحاب رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ح٥٨).

٣٥ | فَقَدْ عَلِمْتَ أَرْبَعًا أَقْسَامَا * فِي الكَائِنَاتِ فَاحْفَظِ الْمَقَامَا

الثاني: عكسه، كالكفر منه.

الثالث: مأمور به غير مراد، كالإيمان من أبي جهل.

[الرابع:] عكسه، ككفره.

(فاحفظ) هذا **(المقاما)** على الوجه المتقدّم، فإنه مذهب أهل السنة والجماعة، وقد زَلّت فيه أقدام المعتزلة.

قال سيدي العز عبد السلام[1]: «وبعد، فإني نظرت فرأيت دائرة الشقاوة والسعادة تدور على خط الأمر ومركز الإرادة، وبينهما تدقيق يدق على التحقيق، ومضيق يفتقر سالكه إلى رفيق التوفيق، فالأمر يَهَبُ والإرادة تَنْهَبُ، فما وهبه الأمر نهبته الإرادة، والأمر يقول: افعل، والإرادة تقول: لا تفعل، والفعال المريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

فقوم عَلَقُوا بالأمر فَضَلّوا، وقوم علقوا بالإرادة فزلّوا، وقوم جمعوا بين الإرادة والأمر فهدوا إلى الصراط المستقيم واستقلوا.

فأما الذين تمسّكوا بالأمر فأضافوا الفعل إلى أنفسهم، وجعلوا لأنفسهم تقديرًا وفعلًا، وقالوا: إن اللَّه لم يخلق الشر، ولم يقدره، ولم يرده، وإنما هو من خلق أنفسنا وفعلها، ليس للَّه فيه إرادة، وزعموا

(١) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي، الدمشقيّ، عز الدين الشافعي، الملقب بسلطان العلماء، ولد سنة (٥٧٧) بدمشق، وتوفي بالقاهرة سنة (٦٦٠)، من كتبه: «الإلمام في أدلة الأحكام»، و«قواعد الأحكام في إصلاح الأنام»، وغيرها. ترجمته من: «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢١).

فَقَدْ عَلِمْتَ أربَعًا أَقْسَامَا * فِي الكَائِنَاتِ فَاحْفَظِ الْمَقَامَا | ٣٥

بجهلهم هذا أن في ذلك تنزيهًا للّٰه تعالى.

وأما الذين تمسكوا بالإرادة والمشيئة، فأحالوا فعلهم وعملهم على الخالقية، وقطعوا نطاق العبودية، وتبرئوا من أعمالهم، وقالوا: نحن قومٌ مجبورون بحكمه في قبضة قهره، ويلزمهم على هذا إبطال الأوامر والنواهي وسائر التكاليف الشرعية».اهـ. أعاذنا اللّٰه منه بمنّه وكرمه آمين.

لطيفة

يحكى أن عبد الجبار المعتزلي[1] قال للأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني[2]، من كبار أئمة أهل السنة والجماعة، مُعَرِّضًا له: «سبحان من تنزه عن الفحشاء».

فتفطن الأستاذ وقال: «سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء».

فقال عبد الجبار: «يريد ربنا أن يعصى».

فقال الأستاذ: «أيعصى ربنا قهرًا».

---

(١) هو أبو الحسين عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني، القاضي، كان شيخ المعتزلة في عصره، مات سنة (٤١٥)، له تصانيف كثيرة، منها: «تنزيه القرآن عن المطاعن»، و«شرح الأصول الخمسة»، و«المغني في أبواب التوحيد والعدل»، وغيرها. ترجمة من: «الأعلام» (٢٧٣/٣).

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني، عالم بالفقه والأصول، كان يلقب بركن الدين، مات سنة (٤١٨)، له كتاب «الجامع» في أصول الدين، خمس مجلدات، و«رسالة» في أصول الفقه، وكان ثقة في رواية الحديث، وله مناظرات مع المعتزلة. ترجمته من: «الأعلام» (٦١/١).

فقال عبد الجبار: «أريت إن منعني الهدى، وقضى عليّ بالرّدى، أحسن إلى أم أساء؟».

فقال الأستاذ: «إن منعك ما هو لك فقد أساء، وأن منعك ما هو له فذاك فضله يؤتيه من يشاء»، فبهت عبد الجبار.

وقال الحاضرون: «والله ما لهذا جواب».

ويقال: وقعت هذه المباحثة بين بدعي وبين سيدنا الإمام علي ابن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فانصرف الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

ويحكي أن أعرابيًا سُرقت ناقته، فجئ به إلى عمرو بن عبيد القدري ليدعو له، فرفع يديه وقال: «اللهم إن ناقة هذا الأعرابي سُرقت ولم تُرِدْ سرقتها فَرُدّها عليه»، فقال الأعرابي: «بالله عليك يا شيخ كُفّ عني من دعائك هذا»، قال: «ولم؟»، قال: «لأنه إذا لم يُرِد سرقتها، وقد سرقت فيريدُ رَدّها ولا ترد».

قال في «الإضاءة»[1]:

وَكُـلَّـمَـا أَرَادَ فَـهـوُ كَـائِـنُ * وَإِن نَهَـى عَنْهُ وأَخطَـا المَائِنُ
وَلَـيـسَ عَـمَّ شَـاءَهُ مَحِيدُ * لأَنَّـــهُ يـفـعَـلُ مَـا يُـرِيـدُ

***

والخامس من صفات المعاني: الكلام، كما قال: **(كلامه)** تعالى

(١) (ص١٩٢) مع شرحه «الفتوحات الإلهية» للشيخ عليش.

القائم بذاته، وهو صفة أزلية نفسية، ليست بحرف ولا صوت، ولا يوصف بتقديم ولا تأخير، ولا بداية ولا نهاية، وهو دال على جميع المعلومات، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

والسادس والسابع: السمع والبصر، كما قال: **(والسمع والإبصار)** بكسر الهمزة، مصدر أبصر، والمراد: البصر، فالسمع والبصر صفتان أزليتان ينكشف بهما جميع الموجودات انكشافًا تامًا.

واعلم أن الانكشاف بالسمع والبصر يغاير في الحقيقة الانكشاف [بالعلم، كما أن الانكشاف بإحداهما يغاير الانكشاف] بالأخرى.

---

(١) سورة الشورى، الآية (١١)، اعلم أن كلام اللّٰه يطلق بالاشتراك على الحسي، والنفسي الذي هو الصفة القديمة، فهو حقيقة عرفية في كلٍّ، فالحسي: ما كان بحرف وصوت، ومدلوله بعض مدلول الكلام النفسي القديم القائم بذاته تعالى. والنفسي: ما ليس بحرف ولا صوت، ولا يوصف بتقديم ولا تأخير، ولا تقسيم، ولا بداية ولا نهاية، وهو قديم ليس بمخلوق.

فالكتب السماوية دالة على بعض مدلول الكلام النفسي، ولا يحيط بكل مدلوله إلا هو، لأن مدلول الكلام النفسي: الواجبات، والمستحيلات، والجائزات تفصيلًا، وأما الكتب السماوية فقد دلت على بعض الواجبات تفصيلًا، وكل الواجبات إجمالًا، وكذا المستحيلات والجائزات، وتكليم اللّٰه لموسى على الجبل كان بالكلام النفسي على التحقيق عند الأشاعرة وبعض الماتريدية، خلافًا للمعتزلة والبعض الآخر من الماتريدية، فتقسيم الكلام إلى أمر، ونهي، وخبر، واستخبار، ووعد، ووعيد، إنما هو لتلك المدلولات التي دل عليها الكلام الحسي، وأما الصفة القديمة فيستحيل انقسامها.

٣٦| كَـلامُـهُ والـسَّـمْـعُ والإِبْـصَـارُ * فهْـوَ الإِلَـهُ الفَاعِـلُ الْمُخْـتَـارُ

ثم فرّع على بعض صفات المعاني، وهي العلم، والحياة، والقدرة، والإرادة بقوله: **(فهو الإله)** الواحد المعبود بحق، وهو **(الفاعل المختار)** الذي إن شاء فعل، وإن شاء ترك، لا فاعل بالطبع ولا بالعلة، وهذا الاعتقاد هو الواجب على المكلف، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

كما يجب على المكلّف أن ينقاد لأوامر اللّٰه تعالى، واجتناب نواهيه، فقد قال ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي باللّٰه ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا**»[2]، إلى غير ذلك من الآيات، والأحاديث الدالة على ترك التدبير، وتفويض الأمر إلى الخبير العليم.

قال أهل المعرفة: «من لا يُدَبِّر دُبِّر له»، وانظر «التنوير في إسقاط التدبير»[3] لسيدي ابن عطاء اللّٰه قُدّس سِرّه.

سبب عدم ذكر الناظم للصفات المعنوية

واعلم أن هذه الصفات السبع هي المتفق عليها، ولم يذكر الناظم الصفات المعنوية الملازمة للمعاني، وهو كونه تعالى عالمًا... إلى آخره، لأن الحق كما قاله الشارح[4]: «ما ذهب إليه إمامنا، إمام أهل السنة والجماعة، أبو الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أنها ليست زائدة على المعاني،

---

(١) سورة القصص، الآية (٦٨).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (ح٣٤) من حديث العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) (ص١٣).

(٤) في المطبوعة «الشارع».

وَوَاجِبٌ تَعْلِيقُ ذِي الصِّفَاتِ * حَتْمًا دَوَامًا مَا عَدَا الْحَيَاةِ | ٣٧

بل هي عبارة عن [قيام] المعاني بالذات»(١).

***

تعلقات صفات المعاني

ثم شرع يُبين تَعَلّق كل من صفات المعاني، **والتعلق:** هو اقتضاء الصفة أمرًا زائدًا على قيامها بالذات، كاقتضاء العلم معلومًا ينكشف به، واقتضاء القدرة مقدورًا وهكذا، فقال:

(وواجب تعليق ذي) أي: هذه **(الصفات)** السابقة ـ صفات المعاني ـ **(حتمًا دوامًا)** تأكيد لمعنى الوجوب، ودوامًا زيادة تأكيد، لأن الواجب النقلي شأنه ذلك، **(ماعدا الحياة)** فإنها لا تتعلق بشيء، إذ هي صفة تصحح لمن قامت به الإدراك، من غير أن تطلب زائدًا على قيامها بمحلها، وقد عرفت أن هذا هو معنى التعلق، فيجب على كل مكلف أن يعتقد ذلك.

واعلم أن هذه الصفات تنقسم:

* إلى ما يتعلق.
* وإلى ما لا يتعلق.

والذي يتعلق ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

* قسم يتعلق بجميع [أقسام] الحكم العقلي: الواجب، والجائز، والمستحيل، وهما صفتا العلم والكلام.

---

(١) «شرح الخريدة» (ص٢١٧)، وهذه الصفات السبعة هي المتفق عليها، وزاد بعضهم صفة الإدراك، والحق التوقف فيها.

٣٨ | فالعِلْـمُ جَزمًا والكَلامُ السَّـامِي * تَـعَـلَّـقَـا بِـسَـائِـرِ الأَقْـسَـامِ

* وقسم يتعلق بجميع الممكنات، وهما صفتا القدرة، والإرادة.
* وقسم يتعلق بجميع الموجودات، وهما صفتا السمع، والبصر.

وإلى ذلك كله أشار الناظم بقوله: **(فالعلم جزما)** بالنصب معمول لقوله بعد: «تعلقا»، **(والكلام[1] السامي)** العالي المتنزه عما لا يليق به، **(تعلقًا)** أي: تعلقا جزمًا، أي: مقطوعًا به، **(بسائر الأقسام)** للحكم العقلي: الواجب والجائز والمستحيل، لأنهما يتطلبان أمرًا زائدًا على القيام بمحلها.

أما العلم فإنه يتعلق تعلق انكشاف، ويقتضي معلومًا ينكشف به، وأما الكلام فإنه يتعلق تعلق دلالة، ويقتضي معنى يدل عليه، فعلم الله تعالى يتعلق بجميع الكليات والجزئيات أزلًا وأبدًا، بلا تأمل ولا استدلال، والكلام يدل على ما ذكر دلالة مستمرة بلا انقطاع أزلًا وأبدًا، فهو تعالى آمرٌ ناهٍ مخبِّرٌ، فهو في نفسه واحد، وتكثره إنما هو بحسب التعلقات، كالعلم والقدرة.

تنبيهان

الأول: منع سيدي أحمد زَرُّوق[2] أن يقال: «إن علمَ الله تعالى

(١) اعلم أن كلام الله تعالى القائم بذاته العليّة يدل على معان، وهذه المعاني دل عليها الألفاظ التي نقرؤها من الكتاب العزيز.

(٢) هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد الفاسي، الشهير بزروق، ولد سنة (٨٤٦)، وتوفي سنة (٨٩٩)، من كتبه: «شرح مختصر خليل»، و«النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية»، و«القواعد» في التصوف، وغيرها. ترجمته من: «الأعلام» (٩١/١)، وكلامه في «شرح عقيدة الإمام الغزالي» (ص٩٤).

يتعلق بالمعلومات إجمالًا» لإبهامه أنه لا يتعلق بها تفصيلًا، كما منع أن يقال: «يتعلق بها إجمالًا وتفصيلًا» للتناقض، وأوجب أن يقال: «يتعلق بها تفصيلًا».

الثاني: قال العلامة السباعي: «معنى تعلق علمه تعالى بالمستحيل: علمه تعالى باستحالته، وأنه لو تصور وقوعه لزم منه الفساد، وهذا مما أشار له بعض السلف بقوله: «علم ما كان، وعلم ما يكون، وعلم ما لم يكن إن لو كان كيف يكون»، وهذا يميز علمه تعالى عن علمنا بالمستحيل، والله أعلم»(١).

***

(وقدرة إرادة تعلقا بالممكنات كلها) هذا أخصر وأوضح، من قول البرهان اللقاني:

فـقـدرةٌ بممكنٍ تَـعَـلّـقتْ * بِلا تَنَاهِي مَا بِهِ تَعَلّقت(٢)

يا **(أخا التقى)** المصاحب والملازم لامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وفيه إشارة إلى أن من خالف هذه العقيدة كالمعتزلة ليسوا من أهل التُّقى، فإنهم قالوا: إن قدرته تعالى لا تتعلق بأفعال العبد الاختيارية، بل العبد مستقل بخلق فعله الاختياري، وإن بعض أفعاله الاختيارية كالمعاصي ليست بإرادة الله تعالى، بناء على أن الإرادة تستلزم الأمر،

(١) «حاشية السباعي» (ص١٠٦).

(٢) «الجوهرة» (ص١٩٧) مع شرح الصاوي.

٣٩ | وقُـــــدْرَةٌ إِرَادَةٌ تعَـــلَّقَـــا * بِالْمُمْكِنَـاتِ كُلِّهَـا أَخَـا التُّقَـى

وقد تقدّم أن هذا الاعتقاد فاسد.

ترتيب تعلق القدرة والإرادة والعلم

واعلم أن تعلق القدرة والإرادة والعلم مرتب، فتعلق القدرة تابع لتعلق الإرادة، وتعلق الإرادة تابع لتعلق العلم.

فالمعنى: أنه تعالى لا يُوجِد شيئًا أو يُعْدِمه إلا إذا أراده، ولا يريد إلا إذا علمه، فما عَلِم أنه يكون أراد كونه ووجوده، ثم أبرزه على طبق الإرادة، وما عَلِم أنه لا يكون ولم يرد كونه فلا يوجد وإن أمر به، كالإيمان ممن عَلِم اللَّه أنه يستمر على الكفر حتى الموت.

سبب عدم تعلق القدرة والإرادة بالواجب والمستحيل

ومفهوم كلام الناظم رحمه اللَّه تعالى: أن القدرة والإرادة لا تتعلقان بالواجب، ولا بالمستحيل، وهو كذلك، لأن القدرة والإرادة لما كانت صفتي تأثير، ومن لازم الأثر وجوده بعد عدم، لزم أن ما لا يقبل العدم أصلًا وهو الواجب، وما لا يقبل الوجود أصلًا وهو المستحيل، لا يصح أن يكون أثرًا للقدرة والإرادة، وإلا لزم تحصيل الحاصل على تعلقها بالواجب، بأن تعلقت بإيجاده، ولزم قلب الحقائق إن تعلقت بإعدامه.

وكذا يقال في المستحيل: يلزم على تعلقها به قلب الحقائق إن تعلقت بإيجاده، وتحصل الحاصل إن تعلقت بإعدامه، والجميع محال وباطل، وما أدى إلى ذلك باطل، فالكمال المطلق للَّه عَزَّوَجَلَّ في عدم تعلقها بالواجب والمستحيل.

وليكن منك على بال أن عدم تعلق القدرة والإرادة بما عدا الممكن ليس ذلك لقصور في الفاعل جَلَّوَعَلَا، بل لنقص في القابل، فإدخال

٤٠	واجـزِمْ بِـأَنَّ سَـمْعَهُ والبَصَـرَا * تَـعَلَّـقَـا بِـكُـلِّ مَـوجُـودٍ يُـرَى
٤١	وكـلُّـهـا قَـدِيـمَـةٌ بـالـذَّاتِ * لأَنَّـهَـا لَـيْسَتْ بِغَـيرِ الـذَّاتِ

الجسم الكبير كالجمل في ثقب صغير كسَمّ الخياط مستحيل، لا تتعلق القدرة به لعدم قابليته في الجمل، لكن القادر العظيم إذا أراد صغَّر الجسم الكبير، وكبَّر الثقب الصغير حتى خلق له قابلية لذلك، فافهم.

(واجزم) أي: اعتقد اعتقادًا جازمًا أيها المكلف **(بأن سمعه)** تعالى **(والبصرا**[1]**)** بألف الإطلاق **(تعلقًا)** معًا تعلق انكشاف **(بكل موجود يرى)**، أي: يُعلم، أي: بكل موجود معلوم له تعالى.

فهما صفتان، قديمتان، قائمتان بذاته تعالى، فسمعه وبصره تعالى يخالفان سمعنا وبصرنا في التعلق، لأن سمعنا يتعلق عادة ببعض موجودات، وهي الأصوات، بشرط عدم البعد جدًّا، وبصرنا يتعلق عادة ببعض الموجودات، وهي الأجسام وألوانها في جهة مخصوصة، على وجه مخصوص.

صفاته تعالى قديمة كذاته

(وكلها) أي: كل صفات المعاني المتقدمة **(قديمة بالذات)** أي: بذات الله تعالى، فليست بممكنة، بل هي قديمة، وأن قدمها ذاتي بقدم الذات، واستدل على ذلك بقوله: **(لأنها ليست بغير الذات)** العليّة،

(١) **وأما سمعنا وبصرنا:** فحادثان، قائمان بمحل مخصوص، فبصرنا قائم بإنسان العين، أو هو قوة مودعة في العصبتين المجوفتين اللتين يتلاقيان ثم يفترقان، كما هو مذهب الحكماء، وسمعنا قائم بالصماخ ـ أي: ثَقْبِ الأذن ـ أو هو قوة قائمة بالعصب المفروش في مقعر الصماخ، والله تعالى منزه عن ذلك، وسمعنا وبصرنا من أسباب علومنا، بخلاف سمعه وبصره تعالى.

بمعنى أنها لا تنفك عنها، فلا يعقل قيام الذات بدونها، وليس وجودها في نفسها، وليست بعين الذات، وإلّا لزم أن تكون الذات صفة، وأن الحياة عين العلم مثلًا، وهو باطل.

ولا يلزم من ذلك تعدد القدماء، لأن المحظور إنما هو تعدد القدماء المتغايرة، ونحن نمنع تغير الذات مع الصفات، والصفات بعضها مع بعض، فينتفي التعدد، إذ لا يقبل إلا مع التغاير، فلا يلزم التعدد ولا التكثر، ولا قدم الغير، ولا تكثر القدماء.

قال العلامة السباعي أثر ذلك: «فعُلِم أن مذهب أهل السنة: أن صفات الذات زائدة عليها، قائمة بها، لازمة لها لزومًا لا يقبل الانفكاك، فهي دائمة الوجود والبقاء، فلا يطرأ [عليها] العدم فهو حي بحياة عالم بعلم قادر بقدرة وهكذا»[1].

كلامه تعالى ليس ككلام المخلوقين

ثم لما ذكر سابقًا أن من صفات المعاني الكلام، أراد أن يبين أنه ليس ككلامنا، فإن كلامنا حادث، وهو بحرف وصوت، وكلام اللّٰه عَزَّوَجَلَّ صفة قديمة فقال: (**ثم الكلام ليس بالحروف**) والأصوات، (**وليس**) مُتَلَبِّسًا (**بالترتيب**) والتأخير، (**كـ**) الكلام الحادث (**المألوف**) والمعروف لنا، فهو داخل في حيز النفي، أي: أنه ليس مثل كلامنا، بل هو صفة ذاته المقدسة في الكلام، فالكلام لا ينحصر في الحروف والأصوات.

(١) «حاشية السباعي» (ص١١٠).

[المستحيل في حقه تعالى]

ويَستَحيلُ ضِدُّ مَا تَقَدَّمَا * مِنَ الصِّفاتِ الشَّامِخاتِ فاعلَما | ٤٣

المستحيل في حقه تعالى أضداد الصفات المتقدمة

ولما فرغ في القسم الأول: وهو ما يجب لله تعالى، أراد أن يشرع في القسم الثاني، وهو ما يستحيل عليه تعالى، فقال: **(ويستحيل ضدُّ ما تقدما)** بألف الإطلاق، أي: يستحيل كل ما ينافي ما تقدم لك، **(من الصفات)** النفسية، والصفات السلبية، وصفات المعاني، **(الشامخات)** أي: المرتفعات، والمُنَزّهات عن الحدوث ولوازمه.

(فاعلما) أي: فاعلم أنه يستحيل عليه تعالى: العدم[1]، والحدوث، و[طرو] العدم وهو الفناء، والمماثلة للحوادث في نحو جِرمية، وعرضية، وعدم قيامه بنفسه، [وعدم الوحدانية، بأن يكون ذا كثرة في ذاته، أو صفاته، أو يكون له شريك في فعل من الأفعال].

ويستحيل عليه: الجهل، والموت، والعجز، والكراهية، أي: عدم الإرادة، أو صدور شيء من الكائنات بالتعليل أو بالطبع[2].

ويستحيل عليه: البَكَم، والصَّمَم، والعَمَى تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

---

(١) في المطبوعة «القدم» وهو خطأ.

(٢) الفرق بين الفاعل بالعلة، والفاعل بالطبع: أن العلة: لا تتوقف على وجود شرط، ولا انتفاء مانع، والطبيعة: تتوقف على ذلك. ومما يدل على بطلانهما: اختلاف أنواع العالم على كثرتها، إذ مفعول العلة والطبيعة لا يختلف.

٤٤ لأنَّـهُ لَـوْ لَـمْ يَـكُنْ مَوْصُوفا * بِهَا لَـكَانَ بِالـسِّوَى مَعْرُوفا

٤٥ وكُـلُّ مَـنْ قَـامَ بِـهِ سِـوَاهَـا * فهْوَ الذِي فِي الفَقْرِ قَدْ تَنَاهَى

٤٦ والوَاحِـدُ الْمَعْبُـودُ لا يَفْتَقِـرُ * لِغَيْـرِهِ جَـلَّ الغَنِـيْ الْمُقْتَـدِرُ

وإنما وجبت له الصفات العُلى واستحال عليه أضدادها: **(لأنه)** تَبَارَكَ وَتَعَالَى **(لو لم يكن موصوفًا بها لكان بالسّوى)** بكسر السين، وفتح الواو مقصورًا، والألف واللام عوض عن المضاف إليه، ويتعلق بقوله: **(معروفًا)** أي: لكان معروفًا بسواها، في العجز والجهل إلى آخر المستحيلات، يعني: لو لم يكن متصفًا بالصّفات الشامخات لاتصف بأضدادها، لكن اتصافه بأضدادها باطل، لما يلزم عليه من الافتقار والحدوث، كما قال الناظم رحمه اللّٰه تعالى:

(وكل من قام به سواها) فاعل قام، أي: كل من قام به غير الصفات العلى الشامخات من العجز والجهل وغيرهما من المستحيلات، **(فهو الذي في الفقر)** والاحتياج إلى من يكمله **(قد تناهى)** أي: قد تناهى في الفقر والاحتياج، فقوله: «في الفقر» يتعلق بقوله: «قد تناهى»، وهو محال، لأنه يؤدي إلى الحدوث.

والواو في قول الناظم: **(والواحد)** لعلها للاستئناف، أو للحال، أي: والحال أن اللّٰه تعالى الواحد الذي هو **(المعبود)** بحق **(لا يفتقر لغيره)** بل غيره مفتقر إليه تعالى، **(جل)** وعظم عن ذلك الافتقار اللّٰه **(الغني)** ـ بسكون الياء للوزن ـ أي: الغني عن كل ما سواه، **(المقتدر)** على كل شيء، وكل شيء هو إلى الغني المقتدر فقير.

[الجائز في حقه تعالى]

وجَائِزٌ فِي حَقِّهِ الإيجَادُ * وَالتَّرْكُ والإشْقَاءُ والإسْعَادُ|٤٧

ثم شرع الناظم رحمه اللّٰه تعالى في بيان القسم الثالث، وهو الجائز، فقال: **(وجائز في حقه)** تعالى:

ـ **(الإيجاد)**، والخلق للممكنات، سواء وجدت أو لم توجد.

والإيجاد: هو تعلق القدرة بوجود المقدور، فإن تعلقت بالحياة سمي: إحياء، وبالموت سمي: إماته، وبالمرزوق سمي: رَزقًا ـ بفتح الراء ـ، وهذه التعلقات هي المسماة بصفات الأفعال[1].

ـ **(والترك)** بالرفع عطف على «الإيجاد»، أي: يجوز في حقه تعالى إيجاد الممكنات وتركها، يعني: أن إيجاد كل ممكن أو تركه أمر جائز في حقه تعالى[2]، إن شاء فعل، وإن شاء لم يفعله.

قال المؤلف: «ومن ذلك: بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإن بعثتهم جائزة وليست بواجبة على اللّٰه تعالى، وكذلك إثابة العاصي، وتعذيب المطيع»[3].

ـ **(والإشقاء)** وهو خلق الكفر في العبد والعياذ باللّٰه تعالى، ويمسى: الخِذلان ـ بكسر الخاء ـ، والإضلال.

(١) اعلم أن أسماءه تعالى على أقسام: أسماء صفات، كالقادر والمريد والعالم والحي ... إلى آخره السبعة، وأسماء أفعال، كالخالق والرازق والمحيي والمميت.

(٢) في المطبوعة «في حقه تعالى إيجاد إن شاء فعل».

(٣) «شرح الخريدة» (ص٢٣٥).

٤٧ | وجَائِزٌ فِي حَقِّهِ الإِيجَادُ * وَالتَّرْكُ والإِشْقَاءُ والإِسْعَادُ
٤٨ | ومَنْ يَقُلْ فِعْلُ الصَّلاحِ وَجَبَا عَلَى الإلهِ قَدْ أَسَاءَ الأَدَبَا

ـ **(والإسعاد)** ـ بكسر الهمزة، مصدر أسعد ـ، وهو خلق الطاعة في العبد، ويسمى: بالهداية والتوفيق[1].

والتنصيص على الاشقاء والإسعاد، وإن كانا داخلين في الإيجاد: لمزيد الإيضاح والاهتمام بشأنها.

ـ ودخل في الجائز أيضًا: فعل الصلاح والأصلح، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، وأراد الناظم بيان ذلك والرد على مُقَابله فقال:

مسألة الصلاح والأصلح والرد على المعتزلة

(ومن يقل[2]: فعل الصلاح وجبا) بألف الإطلاق، **(على الإله)**

---

(١) جميع ما نُعَبِّر عنه بصفات الأفعال جزم الماتريدية بِقِدَمِها، ومجموعها عند محققيهم عبارة عن صفةٍ واحدةٍ، تسمى: بالتكوين، قائمةٍ بذاته تعالى، لكونها صفةَ معنى، كالقدرة والإرادة، يَتَأَتَّى بها وجود الأشياء على وَفْقِ الإرادة. **والفرق بينها وبين القدرة:** أن القدرة عندهم بها صحة التأثير في الممكن، والتكوين به وجود الأشياء.

وجملة القول في ذلك: أن الإيجاد، والخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والإشقاء، والإسعاد، والتصوير إلى غير ذلك عند الأشعرية صفاتٌ حادثةٌ، لأنها إضافات واعتبارات بين القدرة والمقدور. وعند الماتريدية قديمة، لأنها صفة أزلية بها صدور العالم، وكلِ جزءٍ من أجزائه، وتسمى: تكوينًا، لكن إن تعلقت بوجود الشيء سميت: إيجادًا، وخلقًا، أو بموته سميت: إماتةً، أو بصورته سميت: تصويرًا، وهي زائدة على القدرة والإرادة، فإن الإرادة بها التخصيص، والقدرة هي القوة على فعل الشيء أو تركه، ونسبة الأمرين إليها على السواء، فليس بها صدور الأشياء، وإنما بها قَبُولُ الصدور، فهي مبدأ لقبول الصدور، والتكوين مبدأ لنفس الصدور.

(٢) وهم المعتزلة قبحهم الله.

ومَــنْ يَقُــلْ فِعْلُ الصَّــلاحِ وَجَبَا * عَـلَـى الإلــهِ قَـدْ أَسَــاءَ الأَدَبَــا | ٤٨

جَلَّوَعَلَا فـ (قد أساء الأدبا)، وأخلّ به على اللّه تعالى غاية الإخلال، فوصلوا بذلك إلى البدعة الشنيعة، ويقال لهؤلاء الأغبياء: إن الشاهد والواقع يُكَذّب قولكم، إذ لو وجب شيء من ذلك لما وقعت في حق العبد محنة، ولا كفر، ولا آلام للكبير والطفل الصغير، إلى غير ذلك مما هو واقع في الخارج ومشاهد.

ولذلك حُكي أن الامام أبا الحسن الاشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل شيخه أبا علي الجبائي وهو يقرر مسالة وجوب الصلاح والأصلح، وأورد عليه ما لفظه: ما تقول في ثلاثة إخوة مات أحدهم مطيعًا، والآخر عاصيًا، والثالث صغيرًا؟

فأجاب الجبائي بقوله: الأول يثاب بالجنة، والثاني يعاقب بالنار، والثالث لا يعاقب ولا يثاب.

قال الأشعري: فإن قال الثالث: لم أمتني صغيرًا، ولم تبقني إلى أن أكبر فأطيعك لأثاب بالجنة.

أجاب الجبائي: للرب أن يقول: إني كنت أعلم لو كبرت لعصيت فدخلت النار، فكان الأصلح لك موتك صغيرًا.

فقال الأشعري: فإن قال الثاني: يا رب لم لم تمتني صغيرًا، لئلا أعصي فأدخل النار، فماذا يقول الرب، فبهت الجبائي، فترك الأشعري مذهب الاعتزال، ودخل فيما عليه أهل السنة والجماعة، واشتغل بنشره والدفاع عنه، جزاه اللّه خيرًا[1].

(١) سمي الأشعرية بأهل السنة والجماعة: لأنهم اشتغلوا بإبطال رأي المعتزلة، =

٤٩ | واجْـزِمْ أَخِـي بِـرُؤْيَـةِ الإلـهِ * فِـي جَنَّـةِ الْـخُلْـدِ بِـلا تَنَاهِي

مسألة رؤية الله تعالى

- ثم شرع الناظم يذكر عقيدة المسلمين في رؤية اللَّه تعالى في الجنة، وحكمها، فقال: **(واجزم)** واقطع واعتقد وجوبًا **(أخي)** يا أخي في الدين **(برؤية الإله)** تعالى، أي: بأن المؤمنين يرون ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **(في جنة الخلد)** أي: الإقامة دوامًا، وذلك بأن يكشف اللَّه عَزَّوَجَلَّ لمن أراد له الرؤية انكشافًا تامًا بالبصر.

والمعنى: أنه يجب عليك أيها المؤمن أن تعتقد رؤية اللَّه تعالى في الجنة ووقوعها **(بلا)**، أي: في حال كون الرؤية بغير **(تناهي)** للمرئي تعالى، أي: من غير إحاطة بحدود المرئي ونهايته، لاستحالة الحدود والنهايات على اللَّه تعالى، لأن الرؤية بخلق اللَّه تعالى، وهو نوع من الإدراك بخلقه تعالى لمن شاء في أي محل شاء، لا في مكان، ولا جهة، ولا باتصال شعاع، ونحو ذلك مما هو من سمات الحوادث، فإن اللَّه مُنزه عنها.

وينظر في ذلك إلى العلم، فإنهم يعلمونه تعالى بلا حد، ولا نهاية، وبلا كيف، فكذلك يرونه، وكالسماء والأرض فإنا نعلم بهما ونراهما، ولكن لا نحيط بهما، مع أنها محدودة فكيف بمن ليس كمثله شيء، وكالليل

= وإثبات ما وَرَدَتْ به السُّنَّةُ، ومضى عليه الجماعة، فسُمُّوا بذلك.

وسبب تسمية المعتزلة معتزلة: أن رئيسَهم واصلَ بنَ عطاء، اعتزل عن مجلس الحسن البصري، يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، ويثبت المنزلة بين المنزلتين، فقال الحسن: «قد اعتزل عنا واصل».

واجْـزِمْ أَخِـي بِـرُؤْيَـةِ الإلـهِ * فِـي جَـنَّـةِ الْـخُـلْـدِ بِـلا تَنَاهِي| ٤٩

والنهار فإنا نبصرهما، وليسا في جهة فكيف بمن ليس كمثله شيء.

قال المؤلف رحمه اللَّه تعالى: «وتقع الرؤية لكل من دخل الجنة، من إنس وجن من هذه الأمة وغيرها، حتى النساء والصبيان، وتتفاضل الرؤية كمًّا ـأي: عدًّاـ، وكيفًا ـأي: قدرًا وعِظمًاـ، ولذَّة، على قدر علمهم باللَّه تعالى، وحبهم له في الدنيا، حتى إن البعض لا تنقطع عنه الرؤية أبدًا، كما أنه كان في الدنيا لا يتعلق قلبه بغير اللَّه تعالى أبدًا»[1]، اللهم أَهِّلنا لرؤيتك التي إليها قلوب العارفين تُسارع مَنًّا منك وفضلًا يا كريم، قال في «بدء الأمالي»[2]:

يَـراهُ المؤمنـونَ بِغيـرِ كَيْـفٍ * وضَرْبٍ وَتَشْبيـهٍ[3] من مِثَالِ

فَيَنْسَـونَ النعيـمَ إذا رَأَوْهُ * فَيَـا خُسْـرانَ أَهْـلِ الاعْتِزَالِ

فإن هذا هو النعيم حقًا، وسواه مما أعده اللَّه للمؤمنين في الجنة، إنما هو مظهر من مظاهر هذا النعيم، قال اللَّه تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[4].

قال رسول اللَّه ﷺ وقد قال له الصحب الكرام: يا رسول اللَّه هل نرى ربنا يوم القيامة؟ «**هل تمارون**» ـأي: تشكُوْن ـ «في

(١) «شرح الخريدة» (ص٢٤١).

(٢) (ص٢٨٨) مع شرحها «جامع اللآلي».

(٣) في «جامع اللآلي»: «وإدراكٍ وضربٍ».

(٤) سورة القيامة، الآيتان (٢٢، ٢٣).

٤٩ | واجْـــزِمْ أَخِـي بِـرُؤْيَـةِ الإِلـهِ * فِـي جَـنَّـةِ الْـخُـلْـدِ بِـلا تَنَاهِي

القمر ليلة البدر، ليس دونه سحاب»، قالوا: لا يا رسول اللَّه، قال: «**فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب**»، قالوا: لا يا رسول اللَّه، قال: «**فإنكم ترونه كذلك**»، والحديث في «الصحيحين»[1].

(١) أخرجه البخاري (ح٤٥٨١)، ومسلم (ح١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري، وأخرجه البخاري (ح٦٥٧٣)، ومسلم (ح١٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي الروايتين «تضارون» بدل «تمارون».

وفي «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٧/٣): «روي «تضارون» بتشديد الراء، وبتخفيفها، والتاء مضمومة فيهما، ومعنى المشدد: هل تضارون غيركم في حالة الرؤية بزحمة، أو مخالفة في الرؤية، أو غيرها لخفائه، كما تفعلون أول ليلة من الشهر، ومعنى المخفف: هل يلحقكم في رؤيته ضير، وهو الضرر.

وروي أيضًا «تضامون» بتشديد الميم، وتخفيفها، فمن شددها فتح التاء، ومن خففها ضم التاء، ومعنى المشدد: هل تتضامون وتتلطفون في التوصل إلى رؤيته، ومعنى المخفف: هل يلحقكم ضيم، وهو المشقة والتعب، ومعناه لا يشتبه عليكم وترتابون فيه، فيعارض بعضكم بعضًا في رؤيته».

وقد استُدِل على الجواز أيضًا بقوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فلو لم تكن جائزة ما طلبها سيدنا موسى عليه السلام، وإلا كان طلبُها إما جهلًا بأحكام الألوهية، وإما سفهًا، أو عبثًا بطلب المحال، والأنبياء مُنَزَّهُونَ عن ذلك كله.

وأن اللَّه تعالى قد عَلّقَها على ممكن، وهو استقرار الجبل، والمعلق على الممكن ممكن، إذ معنى التعليق: الإخبار بوقوع المُعَلَّقِ عند ثبوت المُعَلَّقِ عليه، والمحال لا يقع على شيء من التقادير الممكنة، فلو لم تكن ممكنة، لزم الخُلف في خبره تعالى، وهو محال.

واجْــزِمْ أَخِــي بِــرُؤْيَــةِ الإلــهِ * فِــي جَنَّــةِ الْـخُـلْـدِ بِـلا تَنَاهِي | ٤٩

أما رؤيته تعالى في الدنيا يقظة فغير واقعة، أما في المنام فقد وقعت لكثير من الصالحين، منهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، فقد نُقل عنه إنه رأى ربه عَزَّوَجَلَّ مرارًا كثيرة في المنام.

والصحيح أن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ربه بالبصر ليلة الإسراء لا بالقلب فقط، والله أعلم.

[مبحث النبوات]

٥٠ إِذِ الوُقُوعُ جائِزٌ بالعَقْلِ * وقَدْ أَتَى فِيهِ دَلِيلُ النَّقلِ

٥١ وَصِفْ جَمِيعَ الرُّسْلِ بِالأَمَانَهْ * والصِّدْقِ والتَّبْلِيغِ والفَطَانَهْ

وإلى هنا انتهى الكلام على ما أراد الناظم رحمه الله تعالى بقسم الإلهيات، واتبعه بالقسم الثاني وهو النبوات فقال:

الواجب في حق الرسل عليهم السلام

(وصف جميع الرسْل) بسكون السين لغة، أي: يجب عليك أيها المكلف أن تعتقد أن جميع رسل الله تعالى متصفون:

١) (بالأمانة) والعصمة: وهي حفظ الله تعالى بواطنهم وظواهرهم من التلبس بمنهي عنه، ولو نهي كراهة، نعم قد يفعلون المكروه تشريعًا فيكون في حقهم قربةً، قال سيدي عبد الله العلوي رحمه الله تعالى في «المراقي»(١):

وَرُبَّمَا يَفعلُ للمَكْرُوهِ * مُبيّنًا أَنَّهُ للتَنْزِيهِ

فَصَارَ فِي جَانِبِهِ مِنَ القُرَبْ * كَالنَّهيِ أَنْ يَشْرَبَ مِن فَمِ القِرَبْ

وما يوهم خلاف ذلك كقوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾(٢)، فمصروف عن ظاهره بأن المراد أمنه، أو أن يغفر مأخوذ من الغفر، وهو الستر، والستر تارة يكون بين العبد والذنب، وهو في جانب الأنبياء، وتارة بين الذنب وما يترتب عليه من العقاب، وهو المراد في جانب الأمة، والله أعلم.

---

(١) (١٣/٢) مع شرحه «نشر البنود». (٢) سورة الفتح، الآية (٢).

٢) **(والصدق)**، أي: صفهم بالصدق أيضًا[١]، وهو مطابقة الحكم للواقع، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾[٢]، ولأننا معشر الأمة مأمورون باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم مطلقًا، واتباعهم طاعة اللَّه تعالى من يطع الرسول فقد أطاع اللَّه، فلو جاز عليهم الكذب للزم الكذب في خبره تعالى، لأن اللَّه تعالى صدَّقهم بالمعجزة[٣] التي أيدهم بها، والتي هي بمنزلة قوله: «صدق عبدي في كل ما يبلغ عني».

ومعجزة نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تُعَدّ ولا تحصى، وأعظمها القرآن العظيم، الذي هو بين أيدينا يبقى إلى يوم القيامة محفوظًا من التبديل والتغيير، بفضل اللَّه تعالى وحفظه، وقد تحدى القرآن العظيم صناديد العرب وبلغائهم المتفننين في البلاغة وأساليب الكلام، فلم يقدروا على معارضته، بل قال بعض المشركين منهم: «إن له حلاوة، وإن عليه طلاوة».

٣) **(والتبليغ)** أي: وصف جميع الرسل الكرام بالتبليغ، و[هو] إيصال الأحكام الشرعية التي أمروا بتبليغها إلى أمتهم، أي: يجب عليك أيها المكلف أن تعتقد أنهم بَلّغوا ما أمروا بتبليغه من الأحكام، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[٤].

---

(١) أي: في دعواهم الرسالة، وتبليغ الأحكام.
(٢) سورة النجم، الآية (٣).
(٣) والمعجزة: أمرٌ خارق للعادة مقرون بالتحدي، مع عدم المعارضة.
(٤) سورة المائدة، الآية (٦٧).

وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يوم الحج الأكبر: **«ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب، ألا هل بلغت»**[1]، يكرر عليه الصلاة والسلام ذلك.

ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«بلغوا عني»**[2]، أو كما قال، ويقول الله تعالى وهو من آخر ما أُنزل عليه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[3].

وتقول الأمة المحمدية، ونحن منها: «اللهم إن نبيك سيدنا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في سبيلك حق الجهاد حتى أتاه اليقين، فجزاه الله عنا أفضل ما جازي نبيًا عن أمته».

٤) **(والفطانة)** بفتح الفاء، وهي التفطن، وهو الذكاء وإدراك الأمور الدقيقة، فيجب في حقهم علينا أن نعتقد أنهم متصفون بالفطانة، لأنهم بعثوا لإقامة الحجج، وإبطال شبه المخالفين، ولأنا مأمورون بالاقتداء بهم في الأقوال والأفعال.

والحاصل أنه يجب أن يعتقد في حق الأنبياء والرسل كلهم التنزيه عن كل ما يخل بالمروءة، وكل ما يؤدي إلى نقص في مراتبهم العليّة، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[4].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح١٠٥) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) سورة المائدة، الآية (٣).

(٤) ومن ذلك يُعلم: أنهم لا يكونون إلا من أشرف الناس، إذ شأن دنيء الأصول =

ويَستَحِيلُ ضِدُّها عَليهِم * وجَائِزٌ كَالأَكْلِ فِي حَقِّهِم | ٥٢

المستحيل في حق الرسل عليهم السلام

ثم شرع يبين ما يستحيل فقال: (**ويستحيل ضدها**) أي: ضد هذه الصفات الأربعة المتقدمة (**عليهم**).

* فيستحيل في حقهم: الخيانة بفعل منهي عنه، وهي ضد الأمانة.
* ويستحيل أيضًا الكذب وهي ضد الصدق.
* وكتمان شيء مما أمروا بتبليغه، وهو ضد التبليغ.
* وكذا يمتنع منهم الغفلة والبلاهة، وهو ضد الفطانة.

***

الجائز في حق الرسل عليهم السلام

ثم أراد أن يشرع في القسم الثالث، وهو الجائز فقال: (**وجائز**) عليهم من الأعراض البشرية ما لا يؤدي إلى نقصٍ في مراتبهم العليّة، بأن لا يكون منهيًّا عنه، ولا من المباح ما يزري، ولا من الأمراض ما هو مُزمن، أو تعافه النفوس، كالجذام والبرص.

وأخبر عن الجائز الذي لا يَستغنى عنه عادة بنو آدم (**كالأكل**) أي: الأكل، ومثله (**في حقهم**)، أي: الشرب والنوم، وكذا ما يُستغنى عنه كالتفكه بنحو أكل الفواكه، والنكاح ونحو ذلك، فلأنه من الجائزات في حقهم.

وما ينزل بهم من بعض الأمراض غير المنفرة إنما هو لتعظيم أجورهم، ورفع درجاتهم عند الله عَزَّوَجَلَّ، وللتشريع كالسهو منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في

= أن تأنفَ النَّفسُ من اتباعه والاقتداء به، ولذا كانوا مُنَزَّهِين عن كلِّ ما يخلُّ بالمروءة، وكل ما يؤدي إلى نقصٍ في مراتبهم العليَّة عليهم صلوات الله وسلامه.

٥٣ | إِرْسَالُهُم تَفَضُّلٌ وَرَحْمَهْ * للعالَمِينَ جَلَّ مُولِي النِّعْمَهْ

الصلاة، والتسلي بأحوالهم إذ نزل بنا ما نزل بهم، والتنبيه على حقارة الدنيا وخسة قدرها عند اللَّه تعالى.

(إرسالهم) أي: الأنبياء من البشر إلى الخلق من أَبِينا آدم إلى سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإدخال المبدأ أو الغاية **(تفضل)**(١)، أي: محض تفضل وإحسان من اللَّه الكريم، ليبلغوهم شريعة اللَّه وما يحتاجون إليه، **(ورحمة)** منه **(للعالمين)** قاطبة، لا واجب، لما سبق لك من أن اللَّه تعالى هو الفاعل المختار الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.

(جل) وعَظُم **(مُولي)** بضم الميم، وكسر اللام، أي: معطي **(النعمة)** التي أجلها نعمة الإيمان، وبعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فله الحمد والمنة على ذلك، وعلى كل حال ثبتنا اللَّه على ذلك.

واعلم أن أفعال اللَّه تعالى تدور بين العدل والفضل، حتى إن إدخال العصاة النار هو عين العدل، كما إن إدخال المؤمنين الجنة هو عين الفضل، قال العلامة الشيخ إبراهيم اللقاني في «جوهرته»(٢):

فإن يُثبنا فَبِمَحْضِ الفَضْلِ * وإنْ يُعَذِّب فَبِمَحْضِ العَدْلِ

قال بعض العارفين: «إذا وضع عدله على عبد لم تبق له حسنة، وإذا

---

(١) فيه رد على المعتزلة الذين أوجبوا على اللَّه تعالى إرسال الرسل، بناء على قاعدتهم: من وجوب الصلاح عليه تعالى، والأصلح في حق عبيده، وفيه رد كذلك على السمنية والبراهمة القائلين باستحالته.

(٢) (ص٢٤٥) مع شرح الصاوي.

إِرْسَالُهُم تَفَضُّلٌ وَرَحْمَهْ * للعالَمِينَ جَلَّ مُولِي النِّعْمَهْ | ٥٣

بسط فضله على عبد لم تبق له سيئة».

يُعطي ويمنع ما يشاء كما يَشَا * وَهِبَاتُه ليست تُقَارِنُهَا الرَّشَا

يقول العبد الفقير غفرا الله له وختم له بخير آمين:

إنْ وَضَعَ الجَلِيلُ عَذْلَهُ عَلَى * عَبْدٍ تَلاشَتْ حَسَنَاته الأُلَى

وإنْ يَكُنْ قَد بَسَطَ الفَضْلَ عَلَيهِ * لَمْ يَبْقَ مِنْ سَيئَةِ العَبْدِ لَدَيْهِ

سُبْحَانَ رَبّي ذِي عَطَاءٍ وَكَرَمْ * مَا شَاءَ أَوْجَدَ وَمَا شَاءَ عَدَمْ

[مبحث السمعيات]

٥٤| ويَـلْـزَمُ الإيـمَـانُ بالْحِسَابِ * والْحَشْـرِ والعِقَـابِ والثَّـوَابِ

ثم إذا علمت هذا فاعلم أن هذا العلم على ثلاثة أقسام: آلهيات، ونبويات، وقد تقدَّما، وسمعيات وهو القسم الثالث المشار إليه بقوله:

الإيمان بالحساب

(ويلزم) على المكلف، أي: ويجب عليه (الإيمان) والتصديق (بالحساب)، وهو توقيف الله عباده في المحشر على أعمالهم، قال تعالى: ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[1]، وكيفية الحساب مختلفة، فمنه اليسير ومنه العسير، ومنه السر والجهر، والفضل والعدل، على حسب الأعمال، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، وذلك بعد أخذهم الكتب لقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴾[2].

والحساب اليسير هو المعبر عنه بالعرض، بأن يعرض الله جَلَّ جَلَالُهُ على عبده بعض ذنبه، ويلقي عليه كنفه وستره، فيقول الله تعالى: «سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ في الدُّنيا وأنا اليومَ أغْفِرها لك»، روى الشيخان[3] عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ

(١) سورة الإسراء، الآيتان (١٣، ١٤).

(٢) سورة الانشقاق، الآيات (٧، ٨، ٩).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» (ح١٠٣)، ومسلم في «صحيحه» (ح٢٨٧٦).

إِلَّا هَلَكَ»، قُلْتُ: يا رسولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، أَلَيْسَ اللَّهُ تعالى يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، قَالَ: **«ذَاكَ الْعَرْضُ يُعْرَضُونَ، وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ»**.

وأخرج أحمد وغيره[1]، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في بعض صلاته: **«اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا»**، فلما انصرف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير قال: **«أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه»**.

الإيمان بالحشر

ويجب الإيمان بـ **(الحشر)** أي: جمع الأجسام والأرواح، وسوقها إلى الموقف بعد بعثهم من قبورهم، المسمى بالنشر، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[2].

وفي الحديث الشريف: **«أنكم محشورون إلى الله تعالى حفاةً عراةً غُرلا»**[3]، جمع أغرل، وهو القلفة المخرجة بالختان، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة جدًّا.

ومراتب الناس في الحشر مختلفة، فمنهم الراكب، ومنهم الماشي على رجليه على حسب الأعمال، وأول من تنشق عنه الأرض

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (ح٢٤٢١٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (ح٨٤٩)، وابن حبان في «صحيحه» (ح٤٤١٢).

(٢) سورة مريم، الآيتان (٨٥، ٨٦).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» (ح٣٣٤٩)، ومسلم في «صحيحه» (ح٢٨٦٠) من حديث ابن عباس.

٥٤ | ويَـلْـزَمُ الإيـمَـانُ بـالْـحِـسَـابِ * والْحَشْـرِ والعِقَـابِ والثَّـوَابِ
٥٥ | والـنَّـشْـرِ والـصِّـرَاطِ والْـمِـيـزَانِ * والْحَوضِ والنِّيـرَانِ والْجِنَـانِ

المصطفى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ثم صاحباه، ثم أهل البقيع، ثم أهل مكة، ثم من بقي.

الإيمان بالعقاب

(والعقاب) بالجر معطوف على الحساب، أي: ومما يجب على المكلف الإيمان به واعتقاده: العقاب في القبر على الذنوب والكفر، وفي الحشر وبعده بأنواع مختلفة على حسب الأعمال، فمنهم من يعاقب بالحيات، والعقارب، ومنهم من يعاقب بالضرب، ومنهم من يعاقب بغير ذلك، والدليل على عقاب القبر قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[1]، ومآل الكفار الخلود فيها، وأمّا أرباب المعاصي من المؤمنين فإلى مشيئة اللّٰه تعالى، فمنهم من يغفر اللّٰه له، ولا يدخله النار، ومنهم من يطهر فيخرج منها بعد التطهير، ومنهم من تناله شفاعة سيدنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الإيمان بالثواب

(والثواب) بالعطف على الحساب، وهو الجزاء على الأعمال بالجنة وغيرها من أنواع النعيم، والنعيم الحقيقي هو النظر لوجه اللّٰه الكريم، وما عداه فهو مظهر من مظاهر النعيم الحقيقي، كما تقدّم.

الإيمان بالنشر

(والنشر) بالجر عطف على الحساب، أي: ومما يجب اعتقاده الإيمان بالنشر، أي: البعث، والمراد به: إحياء الموتى من قبورهم بعد

---

(١) سورة غافر، الآية (٤٦).

جمع أجزائهم الأصلية، بأن يجمعها اللَّه تعالى بعد عدمها بالكلية، ما عدا عَجب الذنب، بفتح العين قال اللَّه تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾(١)، ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾(٢)، ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾(٣)، ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾(٤).

قال العلامة سيدي محمد السباعي مرتبًا ما يقع في ذلك اليوم العظيم: «ثم بعد النشر تساق الخلائق إلى المحشر بالشام، ويحشرون على أرض غير هذه الأرض، وهي الأرض البيضاء، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾(٥).

والحشر القيام لرب العالمين، ثم بعده العرض، ثم تنزل الملائكة وتصطف بهم، وتدنو منهم الشمس، ثم تتطاير الصحف، ثم أخذها بالإيمان والشمائل، أي: يأخذها الملك ويعطيها للمؤمن بيمينه، والكافر بشماله، فيقرؤها ويعلم ما فيها، ثم يشفع فيهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا اليوم مقداره خمسون ألف سنة، ثم ينصرفون إلى الميزان فتوزن به أعمالهم، ثم يؤمر بهم إلى الصراط ويشربون من

(١) سورة المؤمنون، الآية (١٦).
(٢) سورة يس، الآية (٧٩).
(٣) سورة الأعراف، الآية (٢٩).
(٤) سورة التغابن، الآية (٧).
(٥) سورة إبراهيم، الآية (٤٨).

٥٥ | والنَّشْرِ والصِّرَاطِ والْمِيزَانِ * والْحَوضِ والنِّيْرَانِ والْجِنَانِ

الحوض، والكفار لا يشربون منه وكذلك من غَيّر وبَدّل من الأمة، ثم يمرون على الصراط»[1].اهـ.

نسأل اللَّه تعالى السلامة والجواز، وأن يَمُنّ علينا بشربة من حوض نبينا سيدنا محمد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا نظمأ بعدها أبدًا مع الأحباب والأولاد والذرية.

وما ذكره الناظم رَحِمَهُاللَّهُ بواو العطف التي لا تقتضي ترتيبًا لأجل النظم.

أما عَجْب الذنب «وهو عظم كالخردلة في آخر سلسلة الظهر، «فالمشهور أنه لا يفنى مع الجسم لحديث «الصحيحين»[2]: «**ليس من الإنسان إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا، وهو عَجْبُ الذنب منه خلق الخلق يوم القيامة**».

وفي رواية مسلم[3]: «**كلُّ ابن آدم يأكله التراب إلا عَجْبَ الذَّنب منه خُلق ومنه يُرَكّبُ**».

وفي رواية لابن حبان[4]: وما هو يا رسول اللَّه، قال: «**هو مثل حبة خردلة منه تنشئون**»، وفي بقائه أسرار لا يعلمها إلا اللَّه تعالى»[5].اهـ.

---

(١) «حاشية السباعي على شرح الخريدة» (ص١٣٦).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (ح٤٩٣٥)، ومسلم في «صحيحه» (ح٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) (ح٢٩٥٥).

(٤) في «صحيحه» (ح٤٥٣٦) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٥) «حاشية السباعي على شرح الخريدة» (ص١٣٧).

الإيمان بالصراط

(والصراط) أي: ويلزم الإيمان به، وهو جسر ممدود على متن جهنم، وفي «صحيح مسلم»(١): «**هو أَدَقُّ من الشعرة وأَحَدُّ من السيف**».اهـ.

وهو بين الموقف والجنة، تَرِده المؤمنون والكفار للمرور عليه، والمارون عليه مختلفون، فمنهم سالم بعمله ناجٍ من الوقوع في نار جهنم، وهو أقسام:

* منهم من يجوزه كلمح البصر.
* ومنهم كالبرق الخاطف.
* ومنهم كالريح القاصف.
* ومنهم كالطير.
* ومنهم كالجواد السابق.
* ومنهم من يسعى سعيًا.
* ومنهم من يمشي.
* ومنهم من يمر عليه حبوًا على قدر تفاوتهم في الأعمال الصالحة، والإعراض عن المعاصي.
* ومنهم غير ناج بل يسقط في نار جهنم، أعاذنا اللّٰه منها، وهم متفاوتون أيضًا على قَدر جرائمهم.

وبالجملة فعلى قدر الاستقامة على الصراط المعنوي في الدنيا، يكون الثبات والنجاة على الصراط الحسي في الآخرة، فالإيمان به

(١) في «صحيحه» (ح١٨٣) من حديث أبي سعيد.

واجب اعتقاده قال اللَّه تعالى: ﴿ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ ﴾[1]، وفي الحديث الصحيح: «**ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجوزه، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعواهم يومئذٍ: اللهم سَلِّم سَلِّم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم عظمها إلا اللَّه، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم المؤمن يؤتي بعمله، ومنهم المُجَازى حتى يُنَجَّى**»[2].

وفي «الصحيحين»[3] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال: يا نبي اللَّه كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة، قال: «**أليس الذي أمشاه على الرجلين قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة**».

اللهم اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، آمين.

الإيمان بالميزان

(**والميزان**)، أي: ومما يجب اعتقاده الميزان، والوزن وهو حق ثابت يجب الإيمان به، قال اللَّه تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾[4]، ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[5]، ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ

(١) سورة يس، الآية (٦٦).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (ح٨٦٠)، ومسلم في «صحيحه» (ح١٨٢) من حديث أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (ح٤٧٦٠)، ومسلم في «صحيحه» (ح٢٨٠٦) من حديث أنس بن مالك.

(٤) سورة الأعراف، الآية (٨). (٥) سورة الأنبياء، الآية (٤٧).

والنَّشْرِ والصِّراطِ والمِيزَانِ * والْحَوضِ والنِّيْرَانِ والْجِنَانِ | ٥٥

فَأُوْلَتَئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ فَأُوْلَتَئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾(١).

وله كفتان نورانية للحسنات، وظلمانية للسيئات، وهو قبل الصراط توزن به أعمال العباد، وبلغت أحاديثه من السنة التواتر، قال المؤلف: «والصحيح أنه ميزان واحد لجميع الأمم، ولجميع الأعمال، والجمع في الآية للتعظيم»(٢).

ولتعلم أن الموزون هو صحيفة الأعمال، لحديث البطاقة المرفوع إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو **«أن الله يستخلص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعون سجلًا، كل سجل منها مد البصر، فيقول له الله: يا عبدي هل بقي لك حسنة؟ فيقول: لا يا ربي، فيقول الله تعالى: بلى بقى لك عندنا أمانة، فيأمر بإخراج بطاقة، وهي ورقة صغيرة قدر الأنملة، مكتوب بها لا إله إلا الله محمد رسول الله، فتوضع في كفة الحسنات فتطيش سجلات المعاصي، ولا يثقل مع اسم الله شيء، فيقول: امضوا بعبدي إلى الجنة بفضلي ومغفرتي»**(٣).

(١) سورة المؤمنون، الآيتان (١٠٢، ١٠٣).

(٢) «شرح الخريدة» (ص٢٧٢).

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (ح٦٩٩٤)، والترمذي في «سننه» (ح٢٦٣٩) وقال: «حسن غريب»، وابن ماجه في «سننه» (ح٤٣٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (ح٥٠٩٥)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وصححه السيوطي في «تدريب الراوي» (٦٥٧/٥).

٥٥ | والنَّشْـرِ والصِّـرَاطِ والْمِيـزَانِ * والْحَـوضِ والنِّيـرَانِ والْجِنَـانِ

الإيمان بالحوض

(والحوض) أي: ومما يجب الإيمان به حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يعطاه في الآخرة، وأحاديثه متواترة، وفي «الصحيحين»[1] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **«حوضي مسيرة شهر، وزواياه** ـ أي: نواحيه الأربع، أي: طوله وعرضه ـ **سواء، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه أكثر من نجوم السماء، من شرب منه لا يظمأ أبدًا»**.

والصحيح أنه لكل نبيٍّ حوض، وأنه قبل الميزان، وهو خلاف الكوثر الذي أعطيه نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الناظم في «شرحه»[2]: «والحوض جسم مخصوص يَصُبُّ فيه مِيزَابَان من ماء الكوثر، ترده أمته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مَن شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا، ويطرد عنه من بدّل وغيّر»، هذه الشريعة الغراء، اللهم سلم سلم، نسأل الله تعالى أن يسقينا من حوض نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحبابنا، بمنه وكرمه، آمين.

الإيمان بالنيران والجنان

(والنيران) بكسر النون، جمع نار، وهي دار العقاب، أجارنا الله منها، وهي ثابتة بالكتاب والسنة، فيجب الإيمان بذلك، وهي مخلوقة اليوم، وهي طبقات أعلاها جهنم لعصاة المؤمنين، فلظى لليهود، فالحطمة للنصارى، فالسعير وفيها الصابئون، فسقر وفيها المجوس، فالجحيم وفيها عبدة الأصنام، فالهاوية وفيها المنافقون.

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (ح٦٥٧٩)، ومسلم في «صحيحه» (ح٢٢٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٢) (ص٢٧٥).

٥٥	والنَّشْرِ والصِّراطِ والْمِيزَانِ * والْحَوضِ والنِّيْرَانِ **والْجِنَانِ**
٥٦	**والجِنِّ والأَمْلَاكِ** ثُمَّ الأَنْبيَا * والْحُورِ والوِلْدَانِ ثُمَّ الأَوْلِيَا

شرح الشيخ حسن محمد المشاط المكي المالكي

(والجنان) بكسر الجيم، جمع جنة، والمراد بها: دار الثواب والكرامة، وهي حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، فيجب الإيمان بها، وهي موجودة اليوم، قال الله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١) جعلنا الله منهم، أعلاها الفردوس، وفوقها عرش الرحمن، ومنها تتفجر أنهار الجنة، فجنة المأوى، فجنة الخُلد، فجنة النعيم، فجنة عدن، فدار السلام، فدار الجلال.

الإيمان بالجن

(و) يجب الإيمان بوجود **(الجن)** إجمالًا لثبوت ذلك بالكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾(٢)، ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾(٣)، ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾(٤).

وهم أجسام لطيفة نارية، لهم قدرة على التشكل بأي صورة، وتحكم عليهم الصورة، ومنهم المطيع والعاصي، والمؤمن والكافر، ومنهم الشياطين شأنهم شأن الشر والإغواء وإلقاء الناس في الفساد، بتذكير أسباب المعاصي والملذات.

الإيمان بالملائكة

(و) يجب على كلِّ مكلف الإيمان بوجود **(الأملاك)**، جمع

(١) سورة آل عمران، الآية (١٣٣).

(٢) سورة الرحمن، الآية (١٥).

(٣) سورة الرحمن، الآية (٣٣).

(٤) سورة الأحقاف، الآية (٢٩).

٥٦ | والجِـنِّ والأَمْـلَاكِ ثُمَّ الأَنْبِيَا * والْحُورِ والوِلْدَانِ ثُمَّ الأَوْلِيَا

ملك، والمراد: الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام إجمالًا فيما يجب الإيمان إجمالًا.

وهم أجسام لطيفة نورانية قادرة على أن تتشكل بأشكال مختلفة، كاملة في العلم، والقدرة على الأعمال الشاقة، شأنها الطاعات، وسكنها السموات، عباد مكرمون لا يعصون اللَّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، كما يجب الإيمان بعصمتهم، وهي أن لا يخلق اللَّه الذنب في المكلف مع بقاء قدرته واختياره، قال اللَّه تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾(٣)، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على وجودهم، وعصمتهم، وعدم الإيمان بهم كفر.

أما الذين تجب معرفتهم تفصيلًا فهم جبريل أمين الوحي، وميكائيل الموكل بالأرزاق، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور، وملك الموت الموكل بقبض الأرواح، ومنكر ونكير الموكلان بسؤال الميت في القبر، والملائكة الموكلون بكتابة ما يصدر من المكلف، لكل واحد ملكان يوصف كل منهما بأنه رقيب، أي: مراقب، وعتيد، أي: حاضر، ومالك

(١) سورة النساء، الآية (١٧٢).
(٢) سورة الأنفال، الآية (١٢).
(٣) سورة الأحزاب، الآية (٥٦).

خازن النار، ورضوان خازن الجنان، وحملة العرش الثمانية.

قال شيخنا وشيخ شيوخنا سيدي أمين الكردي رحمه اللَّه تعالى في «تنوير القلوب»[1]: «فمن أنكر وجودهم، أو أنكر واحدًا من هؤلاء المذكورين فهو كافر، مخلد في النار قطعًا، إلا منكرًا ونكيرًا للخلاف فيهما، وإنكارهما فسق وليس بكفر».

هذا ويجب اعتقاد ما وصفهم اللَّه تعالى به من أنهم: عباد مكرمون، لا يعصون اللَّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

أما ما اشتهر من قصة هاروت وماروت وجعلهما ملكين يعلمان الناس السحر، مع زيادة كذب المؤرخين أنهما عوقبا ومُسخا، فذلك كذب وزور وباطل لا يحل اعتقاده ولا سماعه، وإنما الذي يجب اعتقاده فيهما أنه إن لم يكونا ملكين، فالأمر واضح.

وإن كانا ملكين فتعليمهما السحر لم يكن لأجل العمل به بل للتحرز منه، بتعريف حقيقته، وبيان شره وعقوبته، ولهذا أخبر اللَّه تعالى أنهما ما كانا يعلمان من أحد حتى يقولا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[2]، وهذا كتعليم حقيقة الزنا، وأنواع الربا ليتحرز المكلف عنهما، لأن التحرز من الشر موقوف على معرفته، ولهذا قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان الناس يسألون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الخير، وكنت

(١) (١/٢١٢).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٠٢).

٥٦ | والجِنِّ والأَمْلَاكِ ثُمَّ الأَنْبِيَا * والْحُورِ والوِلْدَانِ ثُمَّ الأَوْلِيَا

أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه»(١)، وقد قيل:

عرفتُ الشَّرَ لا للشَّرِ * لكنْ لتَوقِيه
ومَن لا يعرف الخَير * مِن الشّر يَقع فيه

الإيمان بالأنبياء

(**ثم الأنبيا**)ء يجب الإيمان بهم، عليهم وعلى نبينا الصّلاة والسلام إجمالًا، فيما عُلم منهم إجمالًا، والأولى ترك حصرهم في عدد معين، كما قال تعالى: ﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾(٢)، وتفصيلًا فيما عُلم تفصيلًا، وهم خمسة وعشرون: آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، وذو الكفل، وداود، وسليمان، وإلياس، واليسع، ويونس، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وسيد الكائنات سيدنا محمد صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين.

وأما أولو العزم منهم، أي: زيادة الصبر وتحمل المشاق، فخمسة أشار إليهم بعضهم بقوله:

محمدُ إبراهيمُ موسى كليمُهُ * فعيسى فَنوحُ هُمُ أولو العزمِ فاعْلَمِ

وهم في الفضل على هذا الترتيب.

ويجب اعتقاد أنّ سيدنا محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضلهم، وأنه

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (ح٣٦٠٦).
(٢) سورة غافر، الآية (٧٨).

٥٦ | والجِـنِّ والأَمْـلَاكِ ثُمَّ الأَنْبِيَا * والْحُـورِ والوِلْـدَانِ ثُـمَّ الأَوْلِيَا
٥٧ | وكُـلِّ مـا جَـاءَ مِـنَ البَشِيرِ * مِن كُلِّ حُكمٍ صَارَ كَالضَّرُورِي

شرح الشيخ حسن محمد المشاط المكي المالكي

خاتمهم، وبعدهم بقية الرسل، فالأنبياء فرؤوس الملائكة بلا تعيين، فأصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأفضلهم أبو بكر، فعمر، فعثمان، فعلي، فبقية العشرة، فبقية البدريين، فأهل بيته، فبقية الصحابة، فالتابعين، وتابع التابعين، ويجب الإمساك عما وقع بين الصحابة من النزاع، ولتعلم أن أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم عدول:

وَهُـم عُـدُولٌ كُلُّهُم لَا يَشْـتَبِهْ * النَّـوِوِي أَجمَـعَ مَن يُعتَـدُّ بِهْ

الإيمان بالحور والولدان والأولياء

(والحور) العين، ويجب الإيمان بوجودهن، وهن جمع حوراء، [والحور] شدة بياض العين مع شدة سوادها، وهن نساء الجنة، ووصفهن بالعين لاتساع أعينهن.

(والولدان) مما يجب الإيمان بوجودهم، وهم الغلمان، على صورة غلمان الدنيا، وليسوا من أولاد الدنيا الإنس، كما قاله السباعي[(١)] هم خدمة أهل الجنة.

(ثم الأولياء) أي: يجب الإيمان بهم، جمع وليّ، وهو القائم بحقوق الله تعالى، وحقوق العباد حسب الطاقة، ويجب اعتقاد كراماتهم، كما جاء بذلك الكتاب والسنة وأجمعت عليه الأمة.

الإيمان بكل ما أخبر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(وكل) بالجر عطف على قوله بالحساب، أي: يجب الإيمان بكل **(ما جاء)** ونقل **(من)** عن النبي **(البشير)** أي: البشير لمن وفي

(١) في «حاشيته» (ص١٥٤).

٥٧ | وكُــلِّ مـا جَـاءَ مِــنَ البَـشِيـرِ * مِن كُلِّ حُكم صَارَ كَالضَّرُورِي

٥٨ | ويَـنْطَـوِي فِـي كِلْمَةِ الإسْـلامِ * ما قَدْ مَضى مِنْ سائِرِ الأَحْكَامِ

بالعهود، أي: بأنه محمود العاقبة **(من كل حكم)** بيان لما جاء **(صار)** في الاشتهار بين الخاصة والعامة **(كـ)** الأمر **(الضروري)**، وهذا يعني قولهم: ما علم من الدين بالضرورة، ومراد الناظم رحمه الله تعالى: أنه يجب الإيمان بجميع ما نُقل عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما هو معلوم من الدين بالضرورة.

فالمسلم المكلف إذا أنكر شيئًا من ذلك يكفر، إذ يلزم من إنكاره ذلك تكذيب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إخباره عنه أنه من الدين، ويقتل كفرًا لا حدًّا، لأن يتوب.

ومَثّل المصنف في «الشرح»[1] لذلك بكثير، منها حرمة الزنا، والخمر، وحلّ النكاح، والبيع، ومنها سؤال الملكين منكر ونكير، فكل ذلك من المسائل المعلومة من الدين بالضرورة، أما الأحكام التي لم تبلغ في الاشتهار هذا الحد ولم تكن معلومة من الدين بالضرورة، فلا يكفر منكرها وهي كثيرة، منها الرفع من الركوع والسجود، والجمع بين المشتركتين في السفر، وكون بنت الابن تأخذ فرضها السدس مع الصلبية ونحو ذلك.

***

اندراج كل العقائد في كلمة التوحيد

(وينطوي) يَنْدَرِج **(في)** معنى **(كلمة الإسلام)** بكسر الكاف،

(١) (ص٢٨٢).

وإسكان اللام، أي: الكلمة الدالة على الإسلام، وهي لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه، **(ما قد مضى)** ذِكره **(من سائر)** أي: جميع **(الأحكام)** الإلهيات، والنبويات، والسمعيات، ولذلك اعتبر الشارع هذه الكلمة الجليلة للدخول في الإسلام، وترجمة لما في القلب، ولم يقبل من أحد الإسلام إلا بها.

وبيان ذلك ما قاله الناظم في «شرحه»[1] على سبيل الاختصار المفيد، وهو أن اللَّه عَلم على الذات الواجب الوجود، الخالق للعالم، وقد دَلّت هذه الجملة على حصر الألوهية فيه تعالى، وظاهر أن ذلك يتضمن جميع ما ذُكر، فإن وجوب الوجود يتضمن صفات السلوب ما عدا الوحدانية، والتنزه عن الأعراض في الأفعال والأحكام، وكونه خالقًا للعالم يتضمن القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والوحدانية، وحدوث العالم بأسره[2]، ونفي العلة، والطبيعة.

وأما الجملة الثانية، وهو قولنا: **(محمد رسول اللَّه)** فقد دلت على ثبوت الرسالة لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك يستلزم صدقه في كل ما أخبر عنه، وأمانته، وتبليغه الرسالة للعباد، وكل ما أمر به، وفطانته، والرسول لا يكون إلا معصومًا، واستحالة أضدادها عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجواز كل ما لا يؤدي إلى نقص في علو مرتبته من الأعراض البشرية.

---

(١) (ص٣٠٤) وما بعدها.

(٢) في المطبوعة «بأمره».

٥٨ | وَيَـنْـطَـوِي فِـي كِـلْـمَـةِ الإِسْـلامِ * ما قَدْ مَضى مِنْ سائِرِ الأَحْكَامِ

ووجوب صدقه يستلزم الإيمان بكل ما جاء به، ومن ذلك إرسال الرسل، وهو يستلزم ما يجب في حقهم، وما يستحيل، وما يجوز، والإيمان بالكتب السماوية، واليوم الآخر، والحساب، وما تقدّم من جميع السمعيات.

[مبحث التصوف]

فأَكْثِرَنْ مِن ذِكْرِهَا بالأدَبِ * تَرْقَ بِهَذَا الذِّكْرِ أَعْلَى الرُّتَبِ | ٥٩

إذا علمت ذلك **(فأكثرنْ)** بهمزة القطع المفتوحة، ونون التوكيد الخفيفة **(من ذِكرها)** أي: كلمة الإسلام، **(بالأدب)** أي: مع القيام بالأدب.

وهذا شروع من الناظم نفعنا الله بعلومه، وأمدَّنا بإمداداته وأسراره في فنِّ التصوف[1]، الذي هو أشرف العلوم، وبه صلاح القلب، وسائر الحواس مرتبٌ على معرفة عقائد الإيمان، لأنه لا يُمكن السَّير إلى الله تعالى إلا بعد معرفتها، وهذا من بعض فوائد هذا العلم.

آداب الذكر بكلمة التوحيد

وعليك أيها الطالب الصالح الإكثار من ذكر كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، فإنه لا شيء أقرب لصفاء القلب من كثرة ذِكرها، مع القيام بالآداب التي منها:

---

(١) في المطبوعة «التوحيد»، **وحَدُّ التصوف عِلمًا:** هو عِلْمٌ بأصول يُعرف به صلاحُ القلب، وسائرُ الحواس. **وعملًا:** هو الأخذ بالأحوطِ من المأمورات، واجتنابُ المنهيات، والاقتصارُ على الضروريات من المباحات. **وغايته:** صلاحُ القلبِ وسائرِ الحواس في الدنيا، والفوزُ بأعلى المراتب في العُقْبَى. **وموضوعه:** الأخلاق المحمدية من حيث التَّخلق بها.

واعلم أن التصوف بمعنى العمل، هو الطريقة، وأما الشريعة فهي الأحكام التي وردت عن الشارع، المعبرُ عنها بالدين، وأما الحقيقة: فهي أسرار الشريعة، ونتيجة الطريقة، فهي علوم ومعارف تَحْصلُ لقلوبِ السَّالكين بعد صفائها من كَدَراتِ الطِّبَاعِ البشريّة.

٥٩ | فأكْثِرَنْ مِن ذِكْرِهَا بالأدَبِ * تَرْقَ بِهَذَا الذِّكْرِ أَعْلَى الرُّتَبِ

* تجديد التوبة، مما وقع فيه من المخالفة، والخواطر الرديئة.

* وأن يتطهر من الحدث والخبث.

* وأن يتوجَّه إلى اللَّه عَزَّوَجَلَّ برغبة لتحصل له الجمعية في الذكر.

* وأن يستغفر اللَّه تعالى بما تيسر بأي صيغة كانت، وأفضلها سيد الاستغفار، وهو (اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)[١].

* ويكثر من الصلاة والسلام على النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مع استقبال القبلة.

وقد ذكر النَّاظم رحمه اللَّه تعالى كثيرًا من هذه الآداب[٢]، فعليك

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (ح٦٣٠٣)، من حديث شداد بن أوس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) قال في «شرح الخريدة» (ص٣١٠): «الآداب إما قَبلية، وإما مُصاحبة، وإما بَعدِيَّة، فالقَبلِيَّةُ: أن يجدد التوبة مما وقع فيه من المخالفات، أو الخواطر الرديئة، وأن يتطهَّر من الحَدَث والخَبَث، وأن يتوَجَّه إلى اللَّه تعالى برغبةٍ، ليحصل له الجمعيةُ في الذِّكر، وأن يستغفرَ اللَّه تعالى بما تَيَسَّرَ، بأي صيغة كانت، وأن يصليَ على النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كذلك، وأن يستقبلَ القِبلة، لأنها أشرف الجهات، وأن يستحضرَ شيخه ليكون رفيقه في السير، ثم يشرع في الذكر.

وأما الآداب المُصاحِبة له: فأن يستحضرَ معناها إجمالًا، وأن يُحَقِقَّ الهمزة، ويَمُد ألف «لا» مدًّا متوسطًا، وَيَفْتَحَ هاءَ «إله» فتحة خفيفة، ويمد ألف «إله»، وألف «اللَّه» مدًّا طبيعيًّا، ويأتي بالهاء من «اللَّه» ويقف عليها، وأن يَذْكُرَ بهمة=

فأَكْثِرَنْ مِن ذِكْرِهَا بِالأدَبِ * تَرْقَ بِهَذَا الذِّكْرِ أعْلَى الرُّتَبِ | ٥٨

بها إن أردت طريق القوم، رزقنا الله حبَّهم وجعلنا منهم، (تَرْق) بحذف الألف للجزم، فإذا أكثرت من ذكر الله تعالى تصفو وتعلو (بهذا الذِّكر) المشتمل على الآداب (أعلى الرتب).

الرتب الإسلامية

قال في «الشرح»[1]: «وأدنى الرتب الإسلامية: لوم النفس على ما صدر منها من المخالفات.

وأعلاها: مرتبة الصديقية، ينالها العبد بعد الدخول في مقام الإحسان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، وهي مراتب بعضها فوق بعض، أعلاها مرتبة سيدنا أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وليس فوقها إلا مرتبة النبوة، والنُّبوة ختمت بسيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصديقية لم تختم».

والقصد الوصول إلى الغاية النبيلة من القُرب إلى الله تعالى،

= وقوة، وأن يكون ذِكْرُهُ رغبة في مرضات الله ومحبته، وامتثالًا لأمره، لا لرياء، ولا سمعة، ولا لطلب أمر دنيويٍّ، أو أخرويٍّ، وأن ينفي الأكوان من قلبه، لأن ملاحظة شيءٍ منها قاطع عن الله تعالى، ولولا أن للشيخ مدخلًا في السير ما سوَّغوا له ملاحظته في حال البداية، وأن يجلس كجلوسه في التشهد، إلا لتعب فيجوز التربع، وأن يغمض عينيه، لأن له تأثيرًا في تنوير القلب، وأن يبتدئ بـ«لا» جهةَ اليمين، ويرجع بـ«إله»، ويختم بـ«الله» جهة اليسار مشيرًا إلى قلبه، فإذا أراد ختم الذكر ختمه بـ«محمد رسول الله»».

وأما الآداب البعديَّة: فإنَّه يسكتُ ويسكنُ بخشوع، فإنَّ للذكرِ وارداتٍ تَرِدُ على قلب الذاكر، ولا يَتَمَكَّنُ الوارد من القلب إلا بذلك.

(١) (ص٣١٣).

٦٠| وغَلِّبِ الخَوْفَ عَلى الرَّجَاءِ * وسِرْ لِمَوْلاكَ بِلا تَنَاءِ

ومعرفته، اللهم أطعمنا من قُرْبِك، واسقنا من شراب انسك، بمنك وكرمك، ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾[1]، قال سيدي عبد الله الحداد[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وإنْ رُمْتَ أنْ تَحظَى بِقَلْبٍ مُنَوّرٍ * نَقِيٍّ عَنِ الأَغْيَارِ فَاعْكُفْ عَلَى الذِّكْرِ
وثَابِرْ عَلَيه في الظَّلَام وَفِي الضِّيَا * وفِي كُلِّ حَالٍ بِاللسَانِ وبِالسِّرِّ
فَإنَّك إنْ لَازَمْتَهُ بِتَوَجّهٍ * بَدَا لَكَ نُورٌ لَيْسَ كَالشَّمْسِ والبَدْرِ
وَلَكِنّه نُورٌ مِن اللَّهِ وارِدٌ * أَتَى ذِكْرُهُ في سورَةِ النُّورِ فَاسْتَقِرْ

***

الخوف والرجاء

(وغَلِّب) أيها الذَّاكر لمولاك جَلَّ وَعَلَا في حال صحتك (الخوف) من اللَّه تعالى، وسطوته وقهره، (على الرجاء) في رحمته وعفوه، وهما حالتان لا بد منهما لكلِّ إنسان، ولا يخلو منهما أحدٌ سلك الطريق أو لا، كما أنهما مثل جناحي الطائر، مَن فَقَد أحدهما سقط.

إلا أنَّه في حال الصحة ينبغي تغليب جانب الخوف على جانب الرجاء، إذ به تزول الرعونات عن القلب بمشيئة اللَّه تعالى، فإذا نزل به المرض وأشرف على الموت ينبغي تغليب جانب الرجاء

(١) سورة الأسراء، الآية (٢٠).

(٢) هو عبد اللَّه بن علوي بن محمد الحسيني، الحضرمي، المعروف بالحداد، من أهل تريم، ولد سنة (١٠٤٤)، وتوفي سنة (١١٣٢)، كان كفيفًا، ذهب الجدري ببصره طفلًا، له: «تبصرة الولي بطريقة السادة بني علوي»، و«المسائل الصوفية»، و«الدر المنظوم» ديوان نظمه، وغيرها. ترجمته من «الأعلام» (١٠٤/٤).

وغَلِّبِ الخَوْفَ عَلى الرَّجَاءِ * وسِرْ لِمَوْلاكَ بِلا تَنَاءِ ٦٠
وجَدِّدِ التَّوْبَةَ لِلأَوْزَارِ * لا تَيْأَسَنْ مِنْ رَحمةِ الغَفَّارِ ٦١

على الخوف، لأنه حال القدوم على الكريم الذي لا تتخطاه الآمال، ولقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى**»[1]، أو كما قال.

الفرق بين الرجاء الصادق والكاذب

واعلم أن الرجاء والظن الحسن فيما قارنه عمل، وإلا فهو أُمنية، وذلك أن العبد يسيئ إلى مولاه بالذنب والتقصير، فيتوب ويرجع، فيرجو قبول توبته، أو يعمل عملًا صالحًا لله تعالى، فهذا يرجو قبوله، والثالث لا يعمل ولا يتوب ويقول: «أرجو من الله كذا وكذا»، فهذا هو الرجاء الكاذب المذموم.

(وَسِر) أيها السالك **(لمولاك)** سيرًا حثيثًا **(بلا تناء)** أي: بغير تباعد عن الطريق المستقيم إلى الله تعالى، والسَّير: عبارة عن تَعَلّق قلب العبد بمولاه تبارك وتعالى، مع مخالفة النفس في شهواتها، رزقنا الله ذلك، ووفقنا للسير في الطريق المستقيم الموصل إلى ربنا تبارك وتعالى بمَنّه وكرمه.

(وجَدّد) أيها العبد السالك **(التوبة)** والرجوع إلى الله تعالى **(للأوزار)** أي: لأجل ارتكابك الأوزار، جمع وزر، وهي المعصية، والتوبة هي الأساس الوحيد لكل مقام بعدها يرقى إليه العبد حتى يموت، فكما

(١) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (ح٢٨٧٧) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أن من لا أرض له لا نبات له، كذلك من لا توبة له لا حال له، ولا مقام.

قال رجل للحسن البصري رحمه الله تعالى: «العبد يذنب ثم يتوب ويستغفر، وإذا هو يرجع إلى الذنب»، فقال له: «ذلك شأن المؤمن يذنب، ثم يتوب ويستغفر، ويرجع إلى مولاه تبارك وتعالى»، أي: ولو عاد إلى الذنب في اليوم الواحد مرارًا.

وأُخِذ من ذلك أن التوبة لا تنتقض بالرجوع إلى الذنب، ولو رجعت إليه في اليوم ألف مرة، ويجب تجديدها عند كلِّ رجوع، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[1]، ولذلك قال الناظم تغمده الله برحمته: «وجدد التوبة للأوزار»، والعبد لا يزال مُقصرًا فقيرًا لمولاه، ليس له من يرجع في أحواله إلا إليه.

أركــان التوبة

ولتعلم أن للتوبة أركانًا ثلاثة:

* الندم على ما وقع فيه من المخالفات.
* والعزم على أن لا يعود لمثله.
* والإقلاع عن الذنب في الحال.

فيجب الكف عن استتمام الزنا، وشرب الخمر، وعن أذى الناس، ويجب رَدّ المظالم إلى أهلها، واستسماح المظلوم إن أمكن، وإلا استغفر له وتصدق له بما يمكنه، فإن الله تعالى وهو الغني إذا علم منك الصدق أرضى عنك خصماءك.

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٢٢).

وجَــدِّدِ الــتَّـوْبَـةَ لـــلأَوْزَارِ * لا تَـيأَسَـنْ مِـنْ رَحمةِ الغَفَّارِ	٦١
وكُــنْ عـلى آلائِــهِ شَـكُـورا * وكُــنْ عـلى بَـلائِـهِ صَـبُـورا	٦٢

شرح الشيخ حسن محمد المشاط المكي المالكي

(ولا تيأسن) أي: لا تقنط **(من رحمة الغفار)** أي: الستار للذنوب، فإن رحمة ربنا وسعت كلّ شيء، قال الشارح رحمه الله تعالى: «وليس شيء أشد على الشيطان من تجديد المؤمن للتوبة قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1]»[2].

الطريق الموصل إلى الله

واعلم أنّ أصول الطريق الموصل إلى الله عشرة، ذكرها الناظم في «شرحه»[3] مفصلة وموضحة، وأشار لها هنا في النظم مبتدئًا بالتوبة، ومُثَنِّيًا بالشكر للمنعم الحقيقي جَلَّ وَعَلَا فقال:

(وكن) أيها السالك الطريق إلى الله تعالى **(على آلائه)** جمع إِلَيّ، كمِعًى وأمعاء، أي: كن على نعمه التي أنعمها عليك، كنعمة الإيمان وهو أجلها، والعلم، والسمع، والبصر إلى ما لا نصل فيه إلى عد وإحصاء، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[4].

(شكورًا) أي: كثير الشكر، وهو صرف العبد جميع ما أنعم الله به إلى ما خلق لأجله، فهو يرجع إلى:

* اعتقادِ الجَنان، بأن يعتقد أن لا نعمة في الوجود إلى من الله الكريم الموجود.

---

(١) سورة يوسف، الآية (٨٧). (٢) «شرح الخريدة» (ص٣٢٣).

(٣) من (ص٣٢٢) حتى (ص٣٣٤).

(٤) سورة النحل، الآية (١٨).

٦٢| وكُــنْ عـلـى آلائِـــهِ شَـكُـورا * وكُــنْ عـلـى بَـلائِـهِ صَـبُـورا

* وإلى خدمةٍ بالأركان، أي: الجوارح بأن يعمل بجوارحه ما طُلب منه من المأمورات.

* وإلى نُطقٍ باللسان، بأن ينطقَ بلسانه أن لا إله إلا اللَّه، وبسائر الأذكار.

ولتعلم أن من النعم التي يجب الشكر عليها: التوفيق للتوبة، والشكر لا نهاية له، ولذا قال سيد العارفين عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»(١).

قال الناظم قُدّس سره: «والشكر بهذا الاعتبار عزيز جدًّا، لأنه طريق الصّديقين، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾(٢)»(٣).

وأشار إلى الثالث من الأصول العشرة، وهو الصبر بقوله: **(وكن على بلائه)** يتعلق بقوله: **(صبورًا)** كثير الصبر على البلاء، من مرض، وضيق عيش، ونحو ذلك.

والصبر: حبس النفس على ما تكره، وحبسها على فعل الطاعة، وحبسها عن المعصية، كل ذلك يقال له صبر، ويطلب من المُكلّف، فإن اللَّه تعالى يحب عبده الصابر، والصبر وصف أُولي العزم، والهمّة العلية، وقد جاء فيه آيات كثيرة تبلغ تقريبًا سبعين آية، أثنى اللَّه تعالى

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (ح٤٨٦)، من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) سورة سبأ، الآية (١٣). (٣) «شرح الخريدة» (ص٣٢٤).

فَـكُـلُّ أَمْـرٍ بالقَضَاءِ والـقَـدَرْ * وكُـلُّ مَـقْـدُورٍ فَـمَـا عَـنْـهُ مَفَرْ	٦٣
فكُـنْ لَـهُ مُسَـلِّمًا كَـي تَسْـلَما * واتْبَـعْ سَـبيلَ النَّاسِـكينَ العُلَما	٦٤

فيها على الصابرين، وأحاديث كثيرة شريفة.

وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فــي أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ * واسْتَعْمَلَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفَرِ

القضاء والقدر

ثم علَّل طلب الصبر بقوله: **(فكلُّ أمر)** أي: وإنما طلب منك الصبر لأن كلَّ أمر برز في الكائنات فهو **(بالقضاء)** أي: بسبب قضاء اللَّه تعالى وعلمه.

(و) بسبب **(القدر)** وهو ايجاد اللَّه تعالى الأمور على طِبق ما أَرَادَهُ وعَلِمَهُ، **(وكلُّ مقدور)** قدَّره اللَّه تعالى وأبرزه إلى عالم الوجود، وفق علمه وقضائه، **(فما)** أي: فليس **(عنه مفر)**، ولا بد من وقوعه طِبقًا لما أراده من علمه[1].

ومعنى ذلك: أنه يجب على المكلف الصبر والتسليم لما قدَّره اللَّه العليم الحكيم، فإنه إذا لم يصبر ويستسلم لذلك، فَقَدَ خَيْرَ الدنيا والآخرة.

وعُلم من هذا التقرير أن قول الناظم: «وكل مقدور» من تمام التعليل، ثم أشار إلى الرّابع من الأصول: وهو الرّضا، بقوله:

(وكن) أيها الطالب **(له)** تعالى، أي: لرضا مولاك **(مسلِّمًا)** بتشديد اللام المكسورة، أي: في كلِّ ما قدَّره وقضاه، وأمر به ونهى عنه، بأن

(١) القضاء عند الأشاعرة: إرادة اللَّه المتعلقةُ أزلًا بتخصيص الكائنات، ببعض ما يجوز عليها، والقدر عندهم: هو إيجاد اللَّه الأمورَ على طِبْقِ إرادته.

٦٤ | فكُــنْ لَــهُ مُسَــلِّمًا كَــي تَسْــلَما * واتْبَعْ سَــبيلَ النَّاسِــكينَ العُلَما

ترضى بذلك من غير اعتراض على ما قدَّره وقضاه، ولا اعتراض عما أمر به ونهى عنه، **(كي)** إلا لأجل أن **(تسلما)** بألف الاطلاق، أي: تَخْلُص وتنجو من آفات الدنيا والآخرة.

ثم أشار إلى الخامس منها: وهو **اتباع شيخ كامل**(١)، جَمَعَ بين العلم والعمل والمعرفة، سالك طريق المصطفى عليه الصلاة والسلام، لترقى إلى مقام القرب بقوله: **(واتبع سبيل)** أي: طريق **(الناسكين)** أي: العابدين **(العلما)** وهم العارفون بالأحكام الشرعية، اعتقادية كانت، أو علمية.

قال الناظم في «شرحه»(٢): «والمراد بهم: السلف الصالح، ومن تبعهم بإحسان، وسبيلهم منحصر في اعتقاد، وعلم، وعمل على طبق العلم، وافترق من جاء بعدهم من الأئمّة الذين يجب اتباعهم على ثلاث طوائف:

* طائفة نَصَّبت نفسها لبيان الأحكام الشرعية العلمية، وهم الأئمة المجتهدون المرضيون، وهم كثيرون فيما مضى، والذي استقر

(١) وعلامته: السَّخاء، وحُسْن الخُلُق، والشفقة على خلق الله تعالى، وعدم انكبابه على جَمْع الدنيا، وعدم الدَّعْوَى، ولو بالتَّكَلم بمصطلح القوم، إلا لأمر اقتضى ذلك، وعَدم الشكوى من ضيق الدنيا، أو مِنَ إعراض الناس عنه، وأن يُرَى عليه مَخَايِل الذُّلِ، والانكسار، وحبِ الخمول، وأن تظهر على أصحابه البركةُ والصلاحُ.

(٢) (ص٣٢٧).

فكُنْ لَـهُ مُسَـلِّمًا كَـي تَسْـلَما * واتْبَـعْ سَـبيلَ النَّاسِـكينَ العُلَما | ٦٤

منها من المذاهب المرضية إلى عصرنا هذا هم: الأئمة الأربعة؛ الإمام أبو حنيفة، والإمام مالك، والامام الشافعي، والامام أحمد ابن حنبل، رحمهم الله ورضي عنهم[1].

* وفرقة نَصّبت نفسها للاشتغال ببيان العقائد الصحيحة، التي كان عليها السلف الصالح، وهو الامام أبو الحسن، والامام أبو منصور، ومن تبعهما.

* وفرقة نَصّبت نفسها للاشتغال بالعمل والمجاهدات، طبقًا لما ذهبت إليه الفرقتان المتقدمتان، وهم كثيرون، منهم الامام أبو القاسم الجُنيد.

فهؤلاء الفرق الثلاثة هم خواص الأمة المحمدية وساداتها، رضي الله عنهم أجمعين».

والسادس من تلك الأصول: **الجوع اختيارًا**، وذلك بأن يأكل في يوم وليلة أكلة خفيفة من الحلال، وهو ما جُهِل[2] أصله، قال المؤلف: «ولا يمكن ذلك ابتداءً إلا بكثرة الصّوم، فإنه لجام السائرين»[3].

---

(١) قال صاحب «مراقي السّعود» رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتوفي سنة (١٢٣٠هـ) :

والمجمع اليوم عليه الأربعة * وقفو غيرها الجميع منعه

حتى يجيء الفاطمي المجدد * دين الهدى لأنه مجتهد

التلميذ.

(٢) في المطبوعة «حل»، والتصويب من «شرح الخريدة» (ص٣٣٢).

(٣) «شرح الخريدة» (ص٣٣٢).

٦٤ فكُنْ لَـهُ مُسَلِّمًا كَـي تَسْلَما * واتْبَعْ سَبيلَ النَّاسِكينَ العُلَما

والسابع منها: **العزلة**، والبعد عن الناس قاطبة إلا عن شيخه أو من يفيده، ويعينه على ما هو بصدده، أو لضرورة بيع أو شراء، إذ مخالطة الناس تكسب القلب ظلمة، سيما إذا اشتملت على محرمات من غيبة ونحوها، وللإمام الحُمَيدي(١)، شيخ الإمام البخاري:

لقاءُ النَّاسِ ليس يُفيدُ شيئًا * سِوَى الإِكْثارِ مِن قِيلٍ وَقَالِ
فَأَقْلِل مِن لِقَاءِ النَّاسِ إلّا * لأَخْذِ العِلْمِ أَوْ إِصْلاحِ حَالِ

ولبعضهم:

عِشْ خَامِلَ الذِّكْرِ بينَ النَّاسِ وارْضَ به
فَذَاكَ أَسْلَمُ للدُّنْيا ولِلدِّينِ
مَنْ عَاشَرَ النَّاسَ لَمْ تَسْلَمْ دِيانَتُهُ
وَعَاشَ مَا بَيْنَ تَحْرِيكٍ وتَسْكِينِ

وللحقير تذييل البيتين يوم كان طالبًا بالصولتية لإعطاء اختبار الإملاء بقوله:

---

(١) ليس هو شيخ البخاري عبد الله بن الزبير الحُميدي، وإنما هو أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الأندلسي، المتوفى سنة (٤٨٨ هـ)، ومنشأ الوهم الاشتباه في النسبة.

والبيتان نسبهما له القاضي عياض في «الغنية» (ص١٣٧)، وابن بَشْكُوَال في «الصلة» (٥٦١/٢)، وهما من بحر الوافر، ونسبهما القاضي أبو بكر ابن العربي في «المسالك» (٥٨٧/٧) لغيره فقال: «وأنشدني المبارك بن عبد الجبار» فذكرهما وزاد بيتًا بعدهما:

فَمَنْ يَبْغِي سِوَى هَذَيْنِ أَخْطَأَ * وَكَلَّفَ نَفْسَهُ طَلَبَ المحَالِ.

وخَلِّصِ القَلْبَ مِنَ الأَغْيَارِ * بالْجِدِّ والقِيَامِ فِي الأسْحَارِ | ٦٥

فَإنْ الَجاك دَهْرُكَ للقَاءِ * فَالجِمْ ذَا اللسَانِ عَنِ المَقَالِ
وإنْ هُم رَاوَدُوك عَلى الكَلَام * فَتِق مَاذَا سِوى مَحْض احتِيَالِ
فَلا تَنْطِق سَوى ذِكْرَ الإِلَـهِ * وإلا مِن مُؤَانَسَةِ العِيَالِ

والثامن: **الصمت وترك الكلام إلا عن ذكر الله تعالى**، لما في الكلام من الآفات، وحظ النفس، وإظهار صفات المدح، والميل إلى أن يتميز عن أشكاله بحسن النطق، إلى غير ذلك من آفات الكلام، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ كما في «الصحيح»(١) ـ: «**مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليوم الآخِرِ فلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ**»، ولبعضهم:

الصَّمْتُ مِن سَعْدِ السُّعُودِ بِمَطْلَعِ * يُحيِي الفَتَى والنُّطْقُ سَعْدٌ ذَابِحُ

واعلم أن السادس منها إلى الثامن كلها مأخوذة من قول الناظم رحمه الله تعالى.

(**وخلص القلب من الأغيار**) جمع غيرة بمعنى السوى، أي: سوى الله تعالى من كل ما يشغل، من مال، وزوجة، وولد، وجاه، وعلم، وعمل، وغيرها (**بالجد**) والاجتهاد يتعلق بقوله: «وخلص»، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(٢).

قال سيدنا المؤلف: «والمجاهدة تكون بمخالفة النفس في هواها

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح٦٠١٨، ٦٠١٩)، ومسلم في «صحيحه» (ح٤٧، ٤٨)، من حديث أبي هريرة وأبي شُريح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) سورة العنكبوت، الآية (٦٩).

٦٥ | وخَلِّصِ القَلْبَ مِنَ الأَغْيَارِ * بالْجِدِّ والقِيَامِ فِي الأَسْحَارِ

مع الخوف من الله تعالى بعد التوبة قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾(١)، أي: جنة الشهود في الدنيا، وجنة الخلد في العقبى، إلا أن شرط السير: أن لا يكون خائفًا من عذاب الله، وإلا كان عبد سوء لا يعمل إلا إذا خاف العقاب، بل يخاف إجلالًا ومهابة، ولذا قال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴾(٢)، ولم يقل: «عذاب ربه»، فافهم»(٣).

والتاسع من الأصول المذكورة: **السهر في الأسحار**، والمراد على الأقل: الثلث الأخير في الليل، للتهجد والاستغفار، وذكر الجليل الغفار، وإليه أشار الناظم بقوله: **(والقيام)** لله الواحد (بـ) [أي] في وقت **(الأسحار)** جمع سحر، هو آخر الليل، وقد مدحهم الله في كتابه العزيز في آيات كثيرة قال تعالى: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾(٤).

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**عليكم بقيام الليل، فإنّه دأب الصالحين من قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الآثام**»(٥).

---

(١) سورة النازعات، الآيتان (٤٠، ٤١).

(٢) سورة الرحمن، الآية (٤٦). (٣) «شرح الخريدة» (ص٣٣٣).

(٤) سورة الذاريات، الآيتان (١٧، ١٨).

(٥) أخرجه الترمذي في «سننه» (ح٣٥٤٩)، والحاكم في «مستدركه» (ح١١٥٦)، من حديث بلال بن رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والفِكْرِ والذِّكْرِ على الدَّوامِ * مُجْتَنِبًا لِسائِرِ الآثامِ | ٦٦

وللذكر في وقت السّحر تأثير عظيم، قال بعض العارفين: «ينبغي لمن ثقل عليه قيام الليل أن يفتش نفسه، فربما كان ذلك عن معاص باطنية، كِرياءٍ، وعُجْبٍ، وتَكَبّر، فيبادر إلى التوبة من مثل ذلك، وإلى فعل الأمور المكفرة للذنوب، فإن الذنوب إذا كفرت عن العبد فقد طهرت ذاته، وصلحت للوقوف بين يدي الرب الجليل في تلك المواكب الإلهية الشريفة، التي تعتقد كل ليلة، ويحظى بها الصالحون، جعلنا اللّه منهم».

واعلم أنه ينبغي لك إذا أخذت مضجعك عند النوم أن تقول ما مَرّ من الأذكار المنبهة والمُعِينة على القيام، فمن ذلك أن تقول: «اللهم ابعثني في أحب الأوقات إليك، حتى أذكرك فتذكرني، وأستغفرك فتغفر لي، وأسألك فتعطيني يا مَن كرمه لا يحد، وقضاؤه لا يرد، وصفته [﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ④﴾] افعل بنا ما أنت له أهل، ولا تفعل بنا ما نحن له أهل.

وليكثر من الصلاة والسلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولًا وأخيرًا، وليقرأ آخر سورة الكهف.

هذا والعاشر منها: **التفكر في بديع صنع اللّه**، لإدراك دقائق الحكم، فتزداد بذلك علمًا وحبًّا للمبدع، وأشار بقوله:

(والفِكر) أي: التفكير في خلق اللّه تعالى السموات والأرض وغيرهما، **(والذِّكر)** أي: مع ذكر اللّه تعالى **(على الدوام)**، سواء كان

بالقلب، وهو شأن أرباب النهايات، قال سيدي أبو الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ذرة من أعمال القلوب، خير من مثاقيل الجبال من أعمال الأبدان».

أو كان باللسان، وأفضله أن يكون مع تكلف الحضور بالقلب، حتى يصير الحضور طبيعة، ولا ينبغي أن تترك الذكر لوجود الغفلة، فرب ذكر مع غفلة يرفعك إلى ذكر مع حضور القلب، ولرُبَّ ذكر مع حضور يرفعك إلى الذكر مع الشهود عما سوى المذكور.

واعلم أن الذكر أعظم أركان السلوك، فإن كثرة الذكر توجب استيلاء المذكور على القلب، حتى لا يكون فيه سواه، وهو يورث القلب نورًا ساطعًا به يزهد في الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة، ولذا قالوا: «من أُعطي الذِّكر فقد أعطي منشور الولاية»، أي: المرسوم من اللَّه تعالى بأنه ولي اللَّه تعالى، ومن سُلب ذلك والعياذ باللَّه فقد عُزل عن الولاية وللَّه المثل الأعلى.

ولو لم يكن من فضل الذكر، إلا أن المولى جَلَّ جَلَالُهُ له يذكره عند ذلك لكفى قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾(١)، وفي الحديث القدسي: **«من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه»**(٢)، وكفى بذكر اللَّه شرفًا.

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٥٢).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح٧٤٠٥)، ومسلم في «صحيحه» (ح٦٩٨١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٦٦	والفِكْرِ والذِّكْرِ على الدَّوام * مُجْتَنِبًا لِسائِرِ الآثَام
٦٧	مُراقِبًا للّهِ فِي الأَحْوالِ * لِتَرْتَقِي مَعَالِمَ الكَمالِ

وَسَاعَةُ الذِّكْرِ فاعْلَمْ ثَرْوَةٌ وغِنَى * وَسَاعَةُ اللهْوِ إِفْلَاسٌ وفَاقَاتُ

(مجتنبًا) أي: حال كونك مجتنبًا ومتباعدًا **(لسائر)** أي: لجميع الآثام، جمع إثم، وهو المعصية صغيرة كانت أو كبيرة، ظاهرة، كالقتل، والزنا، والنظر إلى محرم، أو باطنة، كالحقد، والحسد، والرياء، والعُجب، ونحوها من الأمراض القلبية.

(مراقبًا للّه) تعالى **(في)** سائر **(الأحوال)** المراقبة: أن تلاحظ أن الحق تبارك وتعالى مطّلع عليك عند كل شيء، فقم بما أمرك به، وباعد عما نهاك عنه، فهذا المقام ترتقى به إلى مقام المشاهدة، ثم إلى مقام المعاينة، قال المؤلف رحمه اللّه تعالى: «ومن آداب هذه الطائفة التي يحصل بها الكمال: ملازمة الطهارة، والنوم عليها، وعدم كشف العورة المغلظة في الخلوات حياءً من اللّه ومن الملائكة.

ومنها: توقير الكبير، والشفقة على الصغير والأرامل والمساكين، بل على جميع الخلق.

ومنها: الأدب مع أهل العلم خصوصًا حملة الشريعة المحمدية من حضر منهم، ومن سلف، فإنهم ورثة الأنبياء»[1].

ولهم علينا حق الأبوة الدينية والعلم، فلا نذكرهم في المجالس إلا بالثناء عليهم، فكم أسدوا إلينا من علوم ومعارف ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا

---

(١) «شرح الخريدة» (ص٣٣٨).

٦٨ وقُل بِذُلٍّ رَبِّ لا تَقْطَعْني * عَنْكَ بِقاطِعٍ ولا تَحْرِمْني
٦٩ مِنْ سِرِّكَ الأَبْهَى الْمُزيلِ للعَمَى * واخْتِمْ بِخَيرٍ يا رَحيمَ الرُّحَما

شرح الشيخ حسن محمد المشاط المكي المالكي

وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

وقد أشار لما ذُكر الناظمُ رحمه اللَّه تعالى بقوله: «لترتقي معالم الكمال»، وهي الأخلاق المحمدية التي ينبغي أن يتخلق بها الرجال، حتى يكون بها عبدًا وخليفة له في أرضه.

(وقل) أيها العبد السالك متضرعًا لمولاك حال كونك متلبسًا **(بذل)** وانكسار، فإن اللَّه عند المنكسرة قلوبهم، وهو من دواعي الإجابة: **(رب لا تقطعني عنك بقاطع)** من القواطع، وهي كل فتنة تشغل العبد عن العبودية، والقيام بوظائفها، من تعلق بمال، أو ولد، أو جاه، ومن القواطع عن اللَّه تعالى: الأمراض القلبية، كالحقد، والحسد، والرياء، والعُجب، **(ولا تَحرمني)** أي: وقُل بذل رب لا تَحرمني ـ بفتح التاء، ثلاثي من حرم، أو بضمها من أحرم ـ أي: لا تمنعني.

(من) إعطاءك **(سرك الأبهى)** من كل نور، قال المؤلف: «والمراد به: النور الإلهي الذي يفرق به العبد بين الحق والباطل في نفس الأمر المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تَتَّقُوا ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾(٢)»(٣).

(١) سورة الحشر، الآية (١٠). (٢) سورة الأنفال، الآية (٢٩).
(٣) «شرح الخريدة» (ص٣٤٣).

أي: نورًا في قُلوبكم تميزون به بين الحق والباطل على ما هو عليه في نفس الأمر، وذلك أن علم اليقين هو معرفة الأشياء بالبرهان، قال تعالى: ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾(١).

وحق اليقين معرفتها بالمشاهدة، من غير مخالطة ولا ممازجة، قال تعالى: ﴿ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾(٢)، فليس من استدل على وجود نار برؤية الدخان كمن شاهدها على بعد، وليس من شاهدها كمن خالطها وعلم وقودها، وما هي عليه.

(المزيل للعمى) نعت ثان للسر، أي: سرك الموصوف بالأنوار، والمزيل للعمى، أي: عن الجهل، وطمس البصيرة والعياذ بالله، وفيه دليل على أن الدعاء ينفع، وهو مما لا شك فيه لكن بشرط أن يكون مصاحبًا للذل والخضوع في الأوقات الشريفة، كالأسحار، ودبر الصلوات.

(و) قل بِذُلّ: يا رب اختم لنا أعمالنا وأعمارنا **(بخير)**، في لطف وعافية، على أكمل حالات التوحيد، والشوق إليك، والرغبة فيك، واقبض أرواحنا بيدك، وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها، وَبدِّل سيئاتنا حسنات، وخذ بأيدينا عند العثرات، ربنا آمنا بما أنزلت، واتبعنا الرسول، فاكتبنا مع الشاهدين.

(١) سورة التكاثر، الآية (٥).
(٢) سورة الواقعة، الآيات (٩٣، ٩٤، ٩٥).

٦٩ | مِنْ سِـرِّكَ الأبْهَى الْمُزيلِ للعَمَى * واخْتِـمْ بِخَيـرٍ يا رَحيـمَ الرُّحَما
٧٠ | والْـحَـمْـدُ لـلّـهِ على الإتْـمَـامِ * وأَفْـضَـلُ الـصَّـلاةِ والـسَّـلامِ
٧١ | علـى النَّبِـيِّ الْهاشِـمِيِّ الْخَاتِمِ * وآلِـــهِ وَصَـحْـبِـهِ الأَكَـــارِمِ

شرح الشيخ حسن محمد المشاط المكي المالكي

(يا رحيم) ويا أرحم (الرّحما)، ولا يخفى ما في الكلام من براعة حسن الختام، رزقنا اللّه وأحبابنا حسن الختام بلا محنة ولا ملام.

***

ولما كان شُكر المنعم واجبًا ختم كتابه بقوله:

(**والحمد للّه على الاتمام**) بهذا الكتاب الذي هو خريدة في بابها، جوهرة ثمينة لطلابها، ولما كانت كل نعمة وصلت إلينا ولا سيما نعمة التوحيد بواسطة نبينا عليه الصلاة والسلام:

وأنـت بـابُ الـلَّـهِ أيُّ امـرئٍ * أَتَـاهُ مِـن غَـيْـرِكَ لا يَـدْخُـلُ

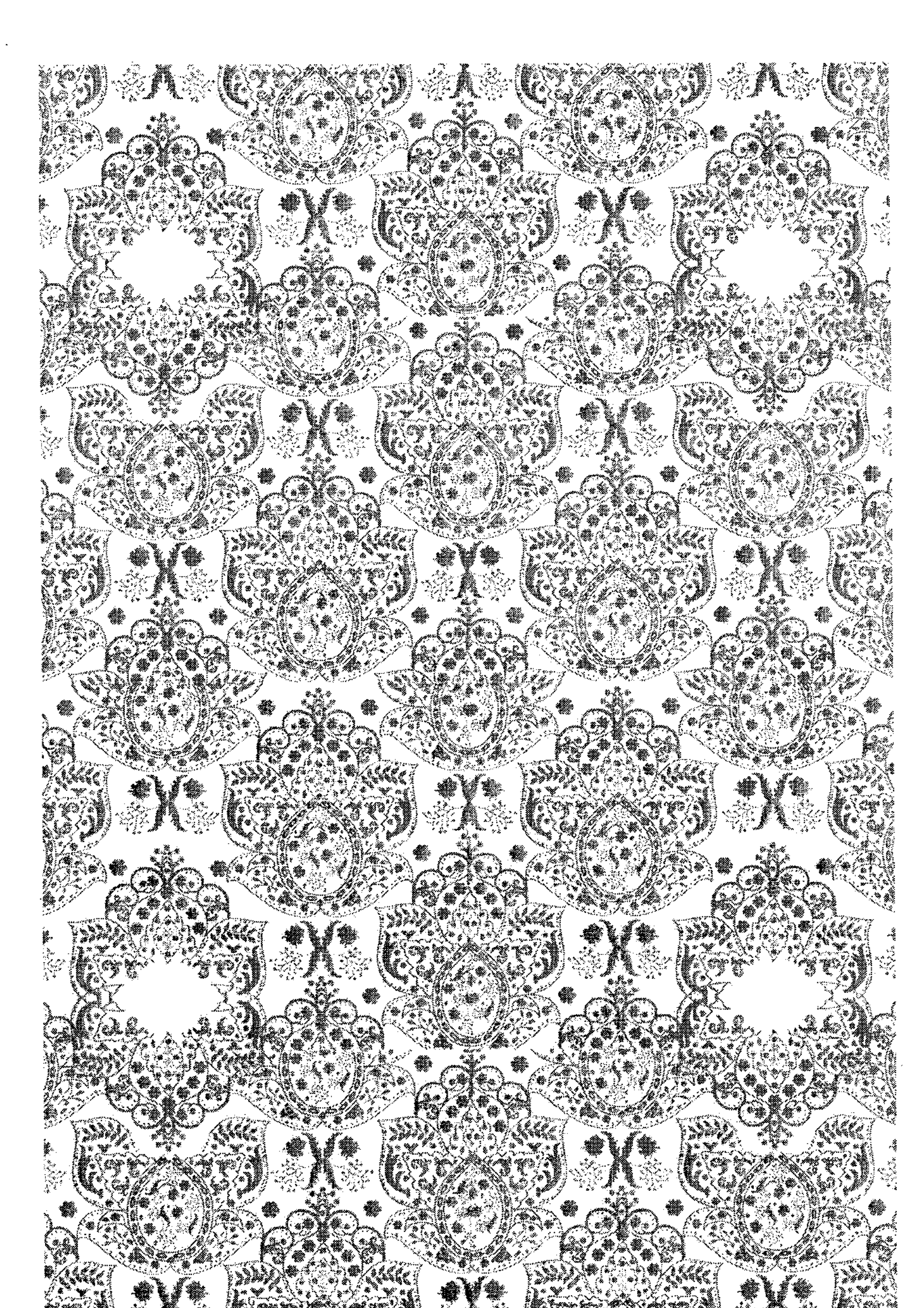
وجب أن نصلي عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألف ألف صلاة وسلام، فقال: (**وأفضل الصلاة والسلام على النبي الهاشمي الخاتم**) للأنبياء والرسل والمختم لهم، (**و**) على (**آله وصحبه الأكارم**) فقد جادوا بأرواحهم في نصرة اللّه ورسوله، مع ما اشتملوا عليه من مَزِيّة الرأفة، والخلق الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وجمعنا بهم في مَقْعَدِ صدقٍ، مع الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، رافقنا اللهم بهم ومعهم، وارزقنا حبهم، وحب من يحبهم، واحفظنا وذرياتنا والمسلمين من مضلات الفتن ما احييتنا، واختم لنا بخاتمة السعادة التي خَتَمْتَ بها لأوليائك في خير وعافية،

على النَّبِيِّ الْهاشِمِيِّ الْخَاتِمِ * وآلِهِ وَصَحْبِهِ الأَكَارِمِ| ٧١

واغفر لنا، ولوالدينا، ولمشايخنا، ولمن له حق علينا، ولمن أحبنا فيك، ولمن أحسن إلينا، آمين.

وكان الفراغ يوم الثلاثاء، الموافق (٢٢) من شعبان المعظم، سنة (١٣٨٥هـ) صباحًا في الساعة (٤,٥)، تقبل الله، وقرنه بالإخلاص والنفع لمن قرأه، واقرأه، بل للعام والخاص.

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله، وآله وصحبه ومن والاه، كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون، وسلم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله بدءًا وختمًا.



فهرس المراجع والمصادر

١) **الأعلام، للأستاذ خير الدين الزركلي**، طبعة دار العلم للملايين، بيروت، الخامسة، ١٩٨٠م.

٢) **ألفية السيرة النبوية، للعراقي**، تحقيق السيد محمد بن علوي المالكي، طبعة دار المنهاج، جدة، الأولى، ١٤٢٦هـ.

٣) **الأمالي المطلقة، لابن حجر**، تحقيق حمدي عبد المجيد، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٤) **تاريخ مدينة دمشق، للحافظ ابن عساكر**، تحقيق عمر بن غرامة، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

٥) **تدريب الراوي فِي شرح تقريب النواوي، للسيوطي**، تحقيق محمد عوامة، طبعة دار اليسر، المدينة المنورة، الأولى، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

٦) **التنوير فِي إسقاط التدبير، لابن عطاء الله**، تحقيق محمد الشاغول، طبعة المكتبة الأزهرية، الأولى، ٢٠٠٧م.

٧) **تنوير القلوب فِي معاملة علام الغيوب، للكردي**، طبعة المكتبة الكردية، ٢٠١٠م.

٨) **جامع اللآلي شرح بدء الأمالي، للشيخ محمد أحمد كنعان**، طبعة دار البشائر الإسلامية، الثانية، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٩) **الجواهر الثمينة فِي بيان أدلة عالم المدينة، للشيخ حسن المشاط**، تحقيق الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، طبعة دار الغرب الإسلامي، الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١٠) **حاشية السباعي على شرح الإمام الدردير على خريدته فِي علم التوحيد**، مصورة دار البصائر للطبعة المليجية.

١١) حاشية الصاوي على شرح الخريدة، للدردير، طبعة مصطفى الحلبي، ١٣٦٦هـ.

١٢) **الدر المنثور فِي التفسير بالمأثور، للسيوطي**، طبعة دار الفكر بيروت، ١٩٩٣م.

١٣) **السنن، للإمام ابن ماجه القزويني**، بعناية صدقي جميل العطار، طبعة دار الفكر، بيروت، الأولى، ١٤٢١هـ.

١٤) **السنن، للإمام الترمذي**، تحقيق بشار عواد معروف، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، الثانية، ١٩٩٨م.

١٥) **سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الرابعة، ١٤٠٦هـ.

١٦) **شرح جوهرة التوحيد، للصاوي**، تحقيق عبد الفتاح البزم، طبعة دار ابن كثير، دمشق، الخامسة، ١٤٢٨هـ.

١٧) **شرح الحكم العطائية، للسندي محمد حياة**، تحقيق نزار حمادي، طبعة مؤسسة المعارف، بيروت، الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٨) **شرح الخريدة البهية، للدردير**، تحقيق مصطفى أبو زيد، طبعة دار الإمام مالك، الأولى، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.

١٩) **شرح صحيح مسلم، للإمام النووي**، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ.

٢٠) **شرح عقيدة الإمام الغزالي، للشيخ أحمد زروق**، تحقيق محمد نصار، طبعة دارة الكرز، الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٢١) **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، طبعة المكتب الإسلامي، الثالثة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢٢) **صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري.**

٢٣) **صحيح مسلم مع شرح النووي.**

٢٤) **الصلة فِي تاريخ أئمة الأندلس، لابن بَشْكُوال**، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، طبعة مكتبة الخانجي، الثانية، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

٢٥) **طبقات الشافعية الكبرى، للإمام تاج الدين السبكي**، طبعة مصورة عن طبعة عيسى البابي الحلبي.

٢٦) **عجائب الآثار فِي التراجم والأخبار، للجبرتي**، طبعة دار الجيل، بيروت.

٢٧) **عمل اليوم والليلة، لابن السني**، تحقيق كوثر البرني، طبعة دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة.

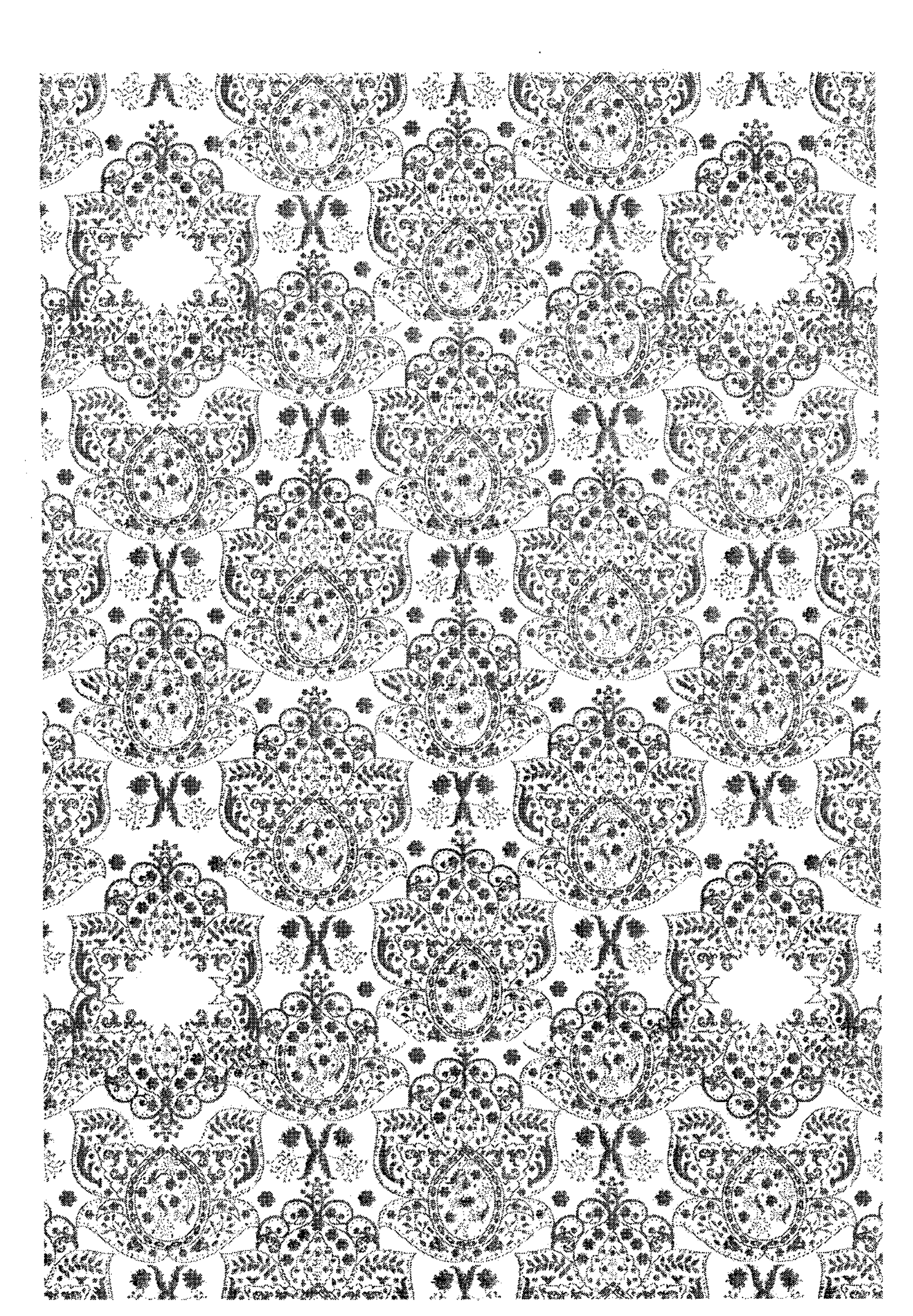
٢٨) **الغنية، للقاضي عياض**، تحقيق دار الغرب الإسلامي، بيروت، الأولى ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٢٩) **فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، طبعة دار الرسالة العالمية، دمشق، الأولى، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٣٠) **الفتوحات الإلهية الوهبية على المنظومة المقرية، للشيخ محمد عليش**، طبعة مكتبة دار العلوم الحديثة، السودان، الأولى، ٢٠١١م.

٣١) **القاموس المحيط، للفيروزآبادي**، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الثامنة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٣٢) **مختار الصحاح، للإمام أبي بكر الرازي،** طبعة مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٥م.
٣٣) **المسالك في شرح موطأ مالك، للقاضي أبي بكر بن العربي،** تحقيق محمد السُّليماني، وعائشة السُّليماني، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٣٤) **المستدرك على الصحيحين، للإمام أبي عبد الله الحاكم،** طبعة دار التأصيل، الأولى، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
٣٥) **المسند، للإمام أحمد،** تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، طبعة مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٣٦) **المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع، لابن حبان،** تحقيق محمد علي سونمز، وخالص آي دمير، طبعة دار ابن حزم، بيروت، الأولى، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
٣٧) **المعجم الأوسط، للإمام الطبراني،** تحقيق طارق عوض الله، وعبد المحسن الحسيني، طبعة دار الحرمين.
٣٨) **المعجم الكبير، للإمام الطبراني،** تحقيق حمدي عبد المجيد، طبعة مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الثانية، ١٤٠٤هـ.
٣٩) **المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني،** تحقيق محمد سيد كيلاني، طبعة دار المعرفة، بيروت.
٤٠) **منهج ذوي النظر، للترمسي،** طبعة مصطفى البابي الحلبي، الرابعة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.
٤١) **النحو الوافي، للأستاذ عباس حسن،** طبعة دار المعارف.
٤٢) **نشر البنود على مراقي السعود، للشيخ عبد الله بن إبراهيم العلوي،** طبعة مطبعة فضالة، المغرب.





فهرس الموضوعات

الإخراج الفني
أحمد عمر محمد
٠١٢٢٥٤٤٧٥١٤ | واتساب
٠١١١٥٩٩٤٤٣٠ | محمول
E-mail: anaahmad571@gmail.com